الجمهـــــــورية الجـــــــزائرية الـــــديمقراطية الـــــشعبية

وزارة التعليـــــم العـــــالي والبحـــــث العلـــــــمي

جامعـــــــــــة وهـــــــــــران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قســـــــم الحضـــــارة الإســـــلامية

المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم

- بنت الشاطئ نموذجا -

مذكـــــــــــرة مقدمـــــــــة

لنيـــل شهـــادة الماجستـــير في القـــرآن والـــدراسات الأدبيـــة

من إعداد الطالب :

باب العياط نور الدين

تحت إشراف الدكتور:

الجيلالـــي سلطانـــي

السنـــــة الجامعيـــة

2007 -2006

الإهـــــــــــــــداء

إل عائلتي الكبير ، الوالدين الكريمين ، بارك الله في عمرهما

وإخوتي الأعزاء وأبنائهم وبناتهم والأختين : هوارية وسومية

إلى عائلتي الصغيرة ، زوجتي رفيقة الدرب ومستودع آلامي وأفراحي

إلى ابنتي الصغيرة فاطمة الزهـــــراء ، أملي الذي استقبل به أفق كل صباح

إلى الأصدقاء رشيد ، عبد الجبار وميلود في ديار الغربة .

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل .

المقدمـــة

المقدمـــــــــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

له الحمد ، وبه المستعان

في حياة العرب ظل الشعر والنثر جهدا بشريا متكامل البناء في الجاهلية والإسلام ، وظل القرآن ولا يزال نصا لغويا يتميز بالأدبية التي تعني أساسا بلاغة أسلوبية متميزة ، تكشف عن إمكانات فريدة في التعبير والتصوير ، يتحدى البشرية في إعجازه وخواصه الفنية ، وعلى البون الشاسع الذي بين الشعر والنثر من جهة والقرآن الكريم من جهة أخرى بحكم طبيعة ما يحسنه الناس في الأول ، وطبيعة ما أنزله الله من كتاب أزلي في الثاني ، يظل البيان العربي شامخا بهما على اختلاف المصادر وتفاوت القيمة الفنية .

وشهد القرآن الكريم على مر الزمن صنوفا من مناهج تفسيرية تناولته دراسة وتحليلا ، ولا يكاد يخلو عصر من العصور إلا وظهر من يتصدر لهذا الحقل الخطير من المعرفة الإسلامية ، والمنهج البياني بقي منذ ظهوره الأول وإلى اليوم يتطلع أصحابه إلى آفاق النص القرآني لما بين هذا المنهج وبين القرآن من وثيق صلة ، يكفي فيها تصويره الرائع المعجز الذي حير العرب على مر الزمن ، فبماذا خدم البيان القرآن ؟

لقد حاولنا في هذا البحث أن نقف على المنهج البياني المتجدد من خلال تفسير بنت الشاطئ ودراساتها القرآنية ، باعتبارها واحدة من مؤسسي هذا المنهج ومطبقيه ، فجاء عنوانه : المنهج البياني في التفسير – بنت الشاطئ نموذجا –

وكانت جملة من التساؤلات شكلت محور الدراسة ، تتعلق بالإطار النظري والتطبيقي من خلال التفسير البياني للباحثة بنت الشاطئ وتوظيفها المنهجي الذي لا يكتفي بالدراسات السابقة وإنما يدخل في حوار نقدي بغية التأصيل من جديد ، من هذه التساؤلات : لماذا المنهج البياني أول ما عنت به المدرسة الأدبية ؟ ما هي القضايا الكبرى التي أثارها المنهج البياني وتناولتها بنت الشاطئ في تفسيرها ؟ ما هي حدود التجديد التي تفترق مع القديم في التفسير البياني ؟ هل كان بناء المنهج الجديد على إلغاء القديم أم كان قراءة نقدية تضاف إلى القديم ؟ هل كان يكفي للمنهج البياني أن يتجاوز البلاغة العربية القديمة وتأويلات المفسرين وغيرها مما بني عليه القديم ، حتى يعد تجديدا أم كان هناك إعادة البلاغة للتفسير بصورة متجددة أيضا ، تتجاوز الجملة إلى النص كاملا والبحث في فنيتها بصورة يتسع معها آفاق النص القرآني ؟ وبصيغة شاملة ، ماذا قدمت مدرسة التفسير الأدبي بمنهجها البياني مما يجعلها الرائدة في التجديد ؟

إن هذه التساؤلات وغيرها هي التي أعطتنا مداخل لهذا الموضوع ، يمكن من خلالها الوقوف على صورة متكاملة للمنهج البياني للتفسير في صورته المتجددة مقارنة مع التفاسير القديمة وكان لأستاذي المشرف الفضل في تناولي لهذه الدراسة ، وقد وقف معي مشجعا ومرشدا أمدني بتوجيهاته ونصائحه الكريمة التي أفادتني كثيرا وشوقتني إلى المضي قدما فجزاه الله كل خير .

ومن الأسباب التي دفعتني إلى البحث كون الدراسات القرآنية لم تنل نصيبها من التأليف خصوصا ما كان يتعلق بالجانب الأدبي والبياني فيها ، على الرغم من بعض الكتابات المتناثرة هنا وهناك ، فجل ما كتب في هذا المجال إما أدخل في باب علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والقراءات القرآنية ، أو أدخل في التفسير من جهة الإعجاز ، ويكاد ينعدم البحث في

القرآن في جانبه الأدبي الذي يتناول السياق و الأسلوب والكلمة وأسرارها البيانية ، ومدى تأثيرها النفسي والفكري في الخطاب والتوجيه ، مما يعطي للقرآن ميزة أدبية فريدة في مقابل النصوص الأدبية الأخرى .

لا أنكر أنه واجهتني صعوبات أثناء البحث ، وهي من الأمور الاعتيادية التي تواجه الطالب في بدايات طريقه العلمي ، كان من أهمها المصادر التي تتعلق بالباحثة بنت الشاطئ والتي حصلت عليها من خارج الوطن ، وقد كلفتني الوقت الكثير للحصول عليها مما أوقفت البحث لمدة من الزمن ، وتبقى مسألة الموضوع الذي شكل لي في بدايته صعوبة ارتبطت بكون المنهج الذي أدرسه قد اشترك فيه أمين الخولي مؤسسه الأول في أبعاده النظرية ، وبنت الشاطئ مؤسسته في أبعاده التطبيقية مما اضطرني إلى المرور على كليهما استجماعا للمنهج كاملا بكل أبعاده ، فتناولي لبنت الشاطئ كنموذج لا يستقيم ما لم نأخذ الخولي باعتباره أستاذا ومنظرا ، فضلا عن كونه زوجا تتلاقي رؤيتهما في أفق واحد ، قد لا يكون العنوان شاملا لكليهما ولكن المضمون حاول استجماع ما عجز عنه العنوان .

أما عن المنهج التي اعتمدته في هذه الدراسة فهو :

-تاريخي : تتبعنا من خلاله التطور التاريخي للمنهج البياني في التفسير عبر نماذج من العلماء القدامى بتسلسل زمني أظهرنا من خلاله نمو التفسير البياني وتطوره إلى مرحلة التجديد ، و لم نعتمد إلا على بعض النماذج المشهود لها بالاختصاص في هذا المجال.

-استقرائي تحليلي : قمنا من خلاله بجمع وتتبع كل ما ارتبط بأصحاب المنهج البياني في تناولهم للنص القرآني ، بقراءة تحليلية لأعمالهم ، وخاصة بنت الشاطئ التي أفردنا لها فصلا تطبيقيا استقرأنا من خلاله جل ما كتبته في هذا المجال .

وكان نتيجة لهذا الفهم، وسيرا مع هذا الاتجاه أن تحددت الدراسة بمدخل وثلاثة فصول تناولنا في المدخل عناصر ثلاث ، خصائص النص القرآني ، أهمية التفسير، التفسير وفكرة التجديد أما عن الخصائص فقد عرضنا أهم ما يميز القرآن كنص لغوي يلتقي مع النصوص العربية من جهة اللغة ويفترق معها من جهة كونه نصا إلهيا سماويا ، صادرا عن الغيب ، وغير محدود العمل في فترة زمنية بل يتعدى الزمان والمكان مما يعني أن تركيبه من نوع يلاءم دوره في توجيه الحياة وتأتي أهمية التفسير بأهمية النص الذي يتناوله لذا كان ولا يزال في تجدد مستمر يأخذ أبعادا في مختلف المجالات الفكرية والمنهجية ، باحثا له عن آليات و أدوات تقربه إلى تناول النص القرآني وبهذا التنوع في الطرح ومحاولات الاقتراب ، بدأت تخترق التفسير كثير من الثقافات التي تمثل الانتماء الذاتي للمفسر التي امتلكها من خصوصيات الانتماء المذهبي والأيديولوجي مما جعل التفسير يأخذ أبعادا غير التي أوجد لأجلها ، فصار التراكم الموروث من التفاسير التقليدية مدارس في علم الكلام والمذهبية و تبريرات أيديولوجية على الرغم من وجود بعض التفاسير التي عالجت الجانب اللغوي والتشريعي في القرآن ، ولأهمية التفسير وخطورته من جهة وكونه لسان القرآن والناطق البشري له ، دعت الحاجة إلى مراجعته بما يخلع عنه ما علق به من تلك الطروحات والأفكار ، فكان التجديد في التفسير قد بدأ يأخذ مكانه في الساحة الفكرية والدينية للمجتمع الإسلامي ، ظهر من خلاله منهجين بارزين تزامنا مع النهضة العربية الحديثة .

شكل اتجاه محمد عبده ومدرسته في التفسير الاجتماعي ، وأمين الخولي ومدرسته في التفسير لأدبي بدايات النظر في القرآن من وجهة النظر الاجتماعية والأدبية ، مستفيدين من الموروث الضخم للتفاسير التقليدية ، ومن المناهج الغربية الحديثة ، خصوصا علمي الاجتماع والنفس على أن محاولات أمين الخولي و مدرسته في التفسير الأدبي ، من المحاولات التي استفادت من العلوم الحديثة و دعت بروح تجديدية بارزة إلى إعادة النظر في كل التفاسير ,آليات البلاغة والنحو وغيرها من الوسائل اللغة التي نزل القرآن بها ، فحدد مع زوجته الباحثة والأستاذة عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ – أهم معالم المنهج البياني في التفسير في العصر الحديث.

وتناولنا في الفصل الأول البيان بين التأصيل والتجديد ، حددنا في مبحثه الأول أهم الأطر التي تتعلق بالموضوع من جهة تحديد مفهوم " البيان " لغة واصطلاحا،وتتبعنا في المبحث الثاني بوادر التفسير البياني من مرحلة التكوين والنشأة إلى مرحلة التأصيل عبر نماذج من المؤلفين القدامى الذين اشتهروا بالكتابة في التفسير البياني ، حتى إذا كان المبحث الثالث فصلنا القول في الحديث عن مدرسة أمين الخولي الأدبية ونظرتها للتجديد البلاغي والتفسيري ، وركزنا على البلاغة باعتبارها الوسيلة الأساسية في البيان العربي . وكان المبحث الرابع وقفة على أهم الأسباب التي أدت إلى تراجع البلاغة العربية الفنية وانتكاستها وتعقيداتها لاعتقادنا أننا نستطيع من خلال الكشف عن هذه الأسباب أن نوجد المبررات التي دفعت أصحاب المنهج البياني إلى الدعوة للتجديد باعتبار أن مشروع بنت الشاطئ وأمين الخولي قد تم بناؤه على نقد القديم وتحليته مما علق به .

في الفصل الثاني أخذ البحث مجاله النموذجي من خلال دراسة بنت الشاطئ كنموذج فأفردنا في المبحث الأول ترجمة الكاتبة , عرجنا فيها على المولد والنشأة ولقائها مع أمين الخولي ثم دراساتها الأدبية والإسلامية ، وتألقها في مجال البحث والتأليف إلى وفاتها ، أما المبحث الثاني كانت لنا وقفة مع مفهوم البيان عند بنت الشاطئ ، حاولنا أن نقرب المصطلح من وجهة نظر مدرسة التفسير الأدبي لننطلق في تحديد أهم الخصائص في المنهج البياني التي عكفت عليها بنت الشاطئ طيلة حياتها في الدراسة والبحث من جهة إثباتها ومن جهة رد الرؤية التقليدية في التفسير على أساسها ، ولأن هذه الخصائص ذكرت مجملة في مقدمة تفسيرها البياني ، قمنا من جهتنا إلى تحليلها وتفصيلها بالمستوى الذي يجعل الوقوف على النصوص التطبيقية ميسرا ويسهل استعابها ، فكانت هذه الخصائص : البحث الدلالي للكلمة القرآنية ، قضية الترادف في المنهج البياني ، الإحاطة بظروف النص القرآني والتناول الموضوعي لتفسير القرآن الكريم .

على أننا أضفنا مبحثا ثالثا منفردا عنوناه بـــ" اللمحة النفسية في المعنى القرآني " لم ندخله تعمدا ضمن الخصائص السابقة ، كون بنت الشاطئ لم تشر إليه و لم تذكره ، ولكن وجدنا في تفسيرها لسورة "الضحى" تعتمد على التحليل النفسي وترجع ورود بعض الألفاظ إلى مراعاة الحالة النفسية للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ، كما أن أمين الخولي أستاذها في المنهج عقد بحثا في دائرة المعارف في تقديمه لمادة التفسير يذكر ضرورة الأخذ بالتحليل النفسي لنصوص القرآن الكريم التي كانت تنزل في بيئة وأشخاص يتطلب الوقوف على أحوالهم النفسية .

وأما الفصل الثالث فأفردناه للتطبيق تبعا للطرح النظري الذي جاء في الفصل الثاني،فكان لزاما أن نخضع نصوص بنت الشاطئ للتطبيق والبحث عن مدى التزامها للمنهج النظري من

خلال ثلاثة كتب رئيسية كانت حصيلة دراساتها ومحاضراتها في الجامعات العربية ، كان المبحث الأول دراسة لكتابها "التفسير البياني " والمبحث الثاني لكتابها " الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق " أما المبحث الثالث فكان كتابها " القرآن وقضايا الإنسان "

بعد هذا العرض ليس إلا أن أقول كما قالت بنت الشاطئ – رحمها الله- " من إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين جيلا بعد جيل ، ثم يبقى أبدا رحب المدى سخي المورد ، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية ، امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح عاليا يفوت طاقة الدارسين ".

المدخل

التفسير وفكرة التجديد

المدخـــــــــــــــــــــــــــل:

1- خصائص النص القرآني

2- أهمية التفسير

3- التفسير وفكرة التجديد

أ- الاتجاه الأول : مدرسة التفسير الاجتماعي (محمد عبده)

ب- الاتجاه الثاني : مدرسة التفسير الأدبي (أمين الخولي)

1- خصـــائص النـــص القـــرآني

إن أيّ نصّ يأخذ أهمّيته من النّص نفسه ، ولما كان القرآن الكريم من أجلّ النّصوص التّي اشتملت على معارف إنسانية عظيمة ومعالم حضارية واضحة، فإنّ تفسيره يأخذ أبعادا هامّة وبالغة من عموم النّصوص الأدبية نثرا وشعرا، بل إنّ الكمّ الهائل من التّفاسير التّي تناولت القرآن الكريم عبر مدّة ليست بالقصيرة ، يتناسب وهذه الأهميّة روحا ومضمونا . غير أنّ مسألة التّفسير إلى اليوم وغاياتها في الوصول إلى مراد الله تبقى محدودة ومتجددة :

محدودة كون كتاب مثل القرآن الكريم ، هو نصّ إلهيّ نزل به الوحي من السّماء على الأرض على صاحب الرّسالة صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا كان له خصائص تميّزه عن غيره .

- فهو صادر عن الغيب .

- ولا يتحدّد عمله أو أثره في توجيه الحياة المعاصرة لنزوله وفقط، بل يمتّد إلى الإنسانية كلّها ،فهو صالح لكلّ زمان ومكان، مما يقتضي أن يكون تركيبه من نوع خاص يلائم هذه الصّلاحية ، ولا يملك القرآن من خصائص بيئته الأولى إلا الظّواهر اللغوية،باعتباره نزل بلغة العرب وأسلوبها العربي.

- كما أنه يختلف عن الأنواع الأدبيّة التي ألفها العرب،حتّى عدّ العرب الكلام ثلاث أقسام : شعر ونثر وقرآن ، ويكفي أن يكون " التّفسير أو الدّراسات القرآنية عموما في الحضارة الإسلامية هي

البيئة الطبيعيّة التّي نضجت في أحضانها كلّ فروع الدّراسات اللغّوية والبلاغيّة "[1]، دليلا على ما أضافه القرآن لموروث الثّقافة العربية و الإسلامية.

– ثم انفراده عن باقي الكتب الدّينيّة السّابقة عليه في أساليب عرض الأفكار و التّشريعات وصياغتها ، فلم يلتزم التّرتيب الموضوعي أو النّوعي ولكنّه "مزج الفكرة الواحدة بغيرها مزج الحياة التي نزل على أصحابها ، مصوّرا لها ولا شّك أن المجتمع تتغير حياته تغيرا مطّردا،فلا يلبث على حال واحدة ولا يجمد على صورة محددة"[2]، وهذا التّغير المطّرد يقتضي التّدرج في التّشريع بما يحقق له قيادة الحياة والسّيطرة عليها.

أما التّفسير قراءة ،فهو قراءة بلغة المفسّر،وثقافته،وبيئته، وانتمائه فهو : "لا يفهم من النّص إلا ما يرقى إليه عقله، وبمقدار هذا يحتكم في النّص ويحدّد بيانه... ولا يستخرج منه إلا قدر طاقته الفكرية واستطاعته العقلية "[3] ، وهو إلى اليوم لم يستطع استيفاء معاني القرآن كاملة ،حتى وإن تناوله بالدّراسة من أوّل سورة البقرة إلى آخر سورة النّاس ، ومن ثم كانت محدوديته.

متجدّدة : كون مناهج التفسير وألوانها، اختلفت وتنوّعت حول نص واحد، مما يوحي بأن القرآن الكريم معجز وخصوصيّاته الفريدة غير خصوصيّات النّصوص الأدبية، بل إن الكلمة والتّي تشكّل الوحدة الأساسية في اللّغة ، "لا تعطي دلالتها القرآنية بمجرد الرّجوع إلى دلالتها المعجميّة التي تسع لمعان عدة لا يتقبلها النّص .. ومعروف لدارسين اللغة، أنّ الألفاظ تختلف استعمالاتها من

---

1 – الاتجاه العقلي في التفسير ، دراسة في قضية المجاز ، نصر حامد أبو زيد ، ص ، ط5 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب 2003 م

2– دراسات في القرآن ، أحمد خليل ، ص14 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت لبنان 1969 م

3 – دائرة المعارف – مادة تفسير– أمين الخولي ، ص462 ، المجلد التاسع ،دار الشعب ،القاهرة ، مصر

عصر إلى عصر ومن بيئة إلى أخرى، ولا وجه أن نحمّل كلمة في أي نصّ دلالة لا يعرفها عصره ومجتمعه.."[1]، لذا تشعّبت مناهج المفسّرين وتنوّعت عبر تطوّر المجتمعات والأمم، فما كان يقرؤه العربيّ في بادية الصّحراء ويعيه ، ليس نفسه ما سيقرؤه رجل اتّصل بثقافات الأمم المفتوحة ، ونبع من حركة الترجمة واتّساعها "..فانضواء شعوب غير عربيّة تحت لواء الإسلام ، تجهل لغة القرآن . هذه الشّعوب بحاجة لمعرفة دينها ومبادئه .. ومنزلة القرآن من حيث هو مرجع للمسلمين في مختلف شؤونهم ،جعلت تدرّج الحياة ينعكس جليّا على القرآن، ويوجه التّفسير وجهات متعددة استلزمتها متطلبات الحياة وضرورات التجديد "[2]، فكان كسب المعرفة أوسع ومتشعب عما كان يعرفه المجتمع العربي إبّان نزول القرآن ، فلا عجب أن يتأثر التّفسير القرآني بأسباب التطور وعوامله ، وتتعدّد مناهج المفسّرين تبعا لتعدّد المناهج في كسب المعرفة ، وهذا التعدّد هو عينه التّجديد.

والدّارس لتاريخ التّفسير ، يلحظ ذلك الاختلاف في تناول التّفسير للنّص القرآني، وكيف انتقل من الأثر إلى الرأي إلى البيان إلى التّاريخ والعلم ، وغيرها من المناهج التّي لم تكن قد ظهرت ساعة نزول الوحي،و لكن تشكّلت عبر مراحل تطوّر العقل، واقتضى ذلك أن يؤخذ فهم القرآن الكريم بها،حتّى يكون الوعي به قريب ومتزامن معه ، فهو فريد عن غيره متجدّد في ذاته ،كما كان التّفسير متنوّع في مناهجه ، واحد في تناول النّص القرآني .

1- القرآن وقضايا العصر ، عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ – ص319 ، ط05 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان 1982

2 – التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا ، عاصي حسن ، ص15- 16 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ، لبنان

وبالإضافة إلى مشكلة التّفسير كآلية للقراءة، فهو أعظم مشكلة كتراث ليصبح قضية تاريخ وعقيدة.قضية تاريخ التفسير نفسه بمناهجه التي عرضها المتقدمون،فاتخذها المتأخرون غلا في أعناقهم ، فقد توسع المتقدمون في التفسير إلى حد كبير، جعل من جاء بعدهم لا يلقون عنتا ولا يجدون مشقة في محاولتهم لفهم كتاب الله ،وتدوين ما دونوا من كتب ، فمنهم من أخذ كلام غيره وزاد عليه ، ومنهم من اختصر ومنهم من علق الحواشي وتتبع كلام من سبقه ، وهكذا لم يغير المتأخرون من منهاج المتقدمين ، فـــ" التفسير الكبير الذي ألفه الشيخ الطنطاوي جوهري إنتاج علمي شبيه بدائرة المعارف ، ولا ينطوي على اقل اهتمام بتجديد منهج ، أما تفسير الشيخ رشيد رضا الذي اتبع فيه إمامه محمد عبده فلم يضع هو الأخر هذا المنهج ، فقد كان همه أن يخلع على المنهج القديم صبغة عقل جديد"[1] .

وقضية عقيدة،تجر المفسر إليها جرا ظاهريا كان المفسر، أو باطنيا أو من أصحاب التأويل . والمتصل بالدراسات القرآنية يدرك جيدا ما حشيت به كتب التفسير من تأويلات ، جاءت حصيلة الصراعات المذهبية والسياسية والتاريخية التي تعرض لها المجتمع الإسلامي ، "فتفاوت المفسرون تبعا لتباين أذواقهم و اختلاف عقلياتهم وأوضاع مجتمعاتهم وأنماط شخصياتهم ،في ذلك العالم الواسع الذي امتد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، وتقاسمته ألوان من عصبيات مذهبية وسياسية وإقليمية ، فاقتضى هذا بطبيعة الحال أن يتوارد على القرآن مفسرون من أنماط شتى وعصبيات مختلفة ."[2]

1 – الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ص58 ، ط04 ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا 1984 م

2 – القرآن وقضايا العصر ، بنت الشاطئ ، ص301

2- أهمية التفسير

أمام مشكلة التفسير كمنهج وموروث ، تبقى أهميته وضرورته ملحة حقا ، وهو بتعبير الأصبهاني " أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان "[1] ، لأن موضوع هذه الصناعة كلام الله الذي هو منبع كل حكمة ، وخلاصة تعاليم السماء ، و المفسّر اليوم مطالب في ضوء العلوم الحديثة أن ينهض بهذا العبء ، ليقدم القرآن الكريم بصورة تليق بمقامه ، وتخلع عنه ما علق به من خرافات الذين تصدوا إلى قراءته وتفسيره ، فـــ"جمهور كبير من الدراويش وجيشا من الجهّال يصر على اعتقاده بأن الأرض ساكنة تحملها العناية الإلهية على قرن ثور، وهذه الفكرة الدارجة قد تؤثر في توجيه التاريخ أكثر من الفكرة العلمية ، لأنها تستند إلى خرافة مفسّر غير موفق يرى الأرض على قرن ثور "[2] .

كما أن أهمية التفسير تضاعفت أيضا بعد أن اختلط العرب بغيرهم ، وتقادم الزمن بهم ودخل فيهم من ليس منهم ، حتى فقدت ملكة البيان ، وضاعت مميزات العروبة وأصبحنا في حاجة إلى إعادة مناخ الفهم الفطري ،وإشاعة حياة اللغة ، لقد "تعربت الشعوب الداخلة في الإسلام، فاتسع المجال اللغوي للعربية في القرن الأول للهجرة ، من المشرق الأسيوي إلى خرسان وما وراء النهر إلى المغرب الإفريقي حتى ساحل المحيط الأطلسي...ومن حيث وقف التاريخ مبهورا يرصد حركة التحول اللغوي لهذه الشعوب، ويرقب نفوذ العربية إلى المناطق التي عصيت من قبل على الغزو اللغوي الفارسي واليونان والرومان، وقف حملة القرآن يشفقون على لغته من هذه

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ،ج4 ،ص 172 ، دار المعرفة مصر

2 - الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ص 59-60

المخالطة المباشرة ، ويرهقون سمعهم لالتقاط مالم يكن منه بد من شوائب العجمة وعثرات اللحن"[1].

كان التفسير في بدايته الأولى يستهدف إلى فهم مدلول الله ، ذلك المفهوم وإن بدا واضحا ميسرا للكثير من الناس ، إلا أنه لم يبق على وضوحه بسبب تعقد اللفظ من حيث المعنى وازدياد الفاصل الزمني كما أسلفنا ، مما نتج عن ذلك تراكم هائل من القدرات والتجارب والأحداث والأوضاع والتي تحتاج تحديد موقف الإسلام منها ، وتأطيرها فيما يعرف بالنّظرية ، خصوصا وأن الواقع الإسلامي القائم في حاجة إلى تنظيم نفسه في مواقف و نظريات أمام نظريات العالم الغربي الحديث الذي يملك رصيدا عظيما وثقافة متنوعة في مختلف مجالات المعرفة البشرية ، العالم الإسلامي اليوم مجبرا على استنطاق نصوص الإسلام قرآنا وسنة وتراثا ،والتوغل في أعماق هذه النصوص ،ليصل إلى مواقف الإسلام الحقيقية، ولكي يكتشف نظريات الإسلام التي تعالج المواضيع التي عالجتها التجارب البشرية في شتى مناحي الحياة .

فالمنهج إذن هو الذي يحسم تقرير مصير أثر القرآن ، بين أن يبقى محفوظا بين الدفتين يعيننا المفسر أحيانا على معرفة معاني مفرداته ،ويقصر أحيانا ، فنقصر معه،وبين أن ينتقل القرآن بمقاصده وأهدافه إلى الحياة كلها في كل ميادينها ،في بناء المجتمعات و إعمار الأرض.

هذه المسائل وغيرها أصبحت تمثل حدا فاصلا بين القديم والجديد في مناهج التجديد.

[1]- القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ،ص 303-304

3- التفسير وفكرة التجديد

ظهر هذا الحد الفاصل منذ ظهر رجال الإصلاح في الفكر الدّيني ، وأولوا مناهج التفسير ما تستحقه من عناية واهتمام ، ويعد بحق السيد جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) رائد التجديد في مناهج التفسير ، كما كان رائدا في منهجه الإصلاحي ككل.

لقد تفطن بوضوح إلى تلك المناهج التقليدية التي انصرفت عن الأخذ بروح القرآن ،والعمل بمضامينه ومعانيه إلى الاشتغال بألفاظه وإعرابه، لقد حاول أن يعكس رؤيته الجديدة من خلال ما يفسره من آيات الكتاب الكريم في صحيفته (العروة الوثقى) ، فركز اهتمامه في سبعة عشر آية فقط ، استطاع تفسيرها قبل إيقاف إصدار العروة الوثقى في عددها الثامن عشر بقهر من حكومة بريطانيا ، ركز اهتمامه على الآيات التي تتصل بأسرار نمو الأمم أو ضعفها وسقوطها.

وكان أهم ما مميز منهج الأفغاني في تفسيره العروة الوثقى :

- بيان سنن الله في الخلق ونظام الاجتماع البشري وأسباب رقي الأمم وتدينها .
- بيان أن الإسلام دين سيادة وسلطان وجمع بين سيادة الدنيا وسعادة الآخرة .
- وأن المسلمين ليس لهم جنسية إلا دينهم فهم إخوة لا يفرقهم نسب أو لغة ولا حكومة[1] .

لقد قام منهج الأفغاني على أساس أن علماء الإسلام في كل عصر لا يجب عليهم إلا التقيد بنصوص القرآن والسنة ، أما التفسيرات المتنوعة و المختلفة فليست لها قداسة الكتاب والسنة يمكن الاستئناس بها أو تجاوزها ، و " النظر مباشرة في الكتاب و السنة واستنباط ما نريد منهما في ضوء

[1] - تفسير المنار ، الشيخ محمد رشيد رضا ، ج1 ، ط1 ، ص11، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1999 م

استنباط الأصول وقواعد اللغة والبلاغة.."[1] ، لذلك ركز دعوته الإسلامية على قاعدة النص القرآني وحده ، وهي القاعدة الأساسية الكفيلة بقلع ما رسخ في عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية ،والنصوص الشرعية على غير وجهتها في مسألة القضاء والقدر ، والتي ناقشها الأفغاني مناقشة مستفيضة ، رأى أن عقيدة القضاء والقدر لا علاقة لها بمذهب الجبر الذي جمد حركة المسلمين في التاريخ ، وأركنهم إلى ما هم عليه من تخلف كما كانت سائدة في اعتقاد كثير من المسلمين .

الحديث عن حركة الأفغاني قد لا يتسع له مثل هذا المدخل ، ولكن يكفي الإشارة إلى أن حركة التجديد في التفسير أخذت نواتها الأولى في ما كان يكتبه ويؤسسه الأفغاني في جريدة العروة الوثقى ، والتي سرعان ما توقفت عن الصدور، ليتجه الأفغاني بعدها إلى كفاحه الاجتماعي والسياسي مستغرقا فيه حتى وفاته ، وانفصل عنه تلميذه الشيخ محمد عبده والذي سيعطي بعدا آخر في حركة التجديد في التفسير تجسد في مدرستين ذات اتجاهين مختلفين :

أ- الاتجاه الأول: مدرسة التفسير الاجتماعي (محمد عبده)

في الوقت الذي اتجه فيه السيد جمال الدين الأفغاني إلى العمل السياسي، وأفنى حياته كلها لأجل العمل على تغيير اتجاهات السياسية العربية والإسلامية في ظل هجمة الاستعمار بكل أنواعه

1- جمال الدين الأفغاني المفترى عليه ، محسن عبد الحميد ، ص33 ، ط01 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان 1985 م

اتجه تلميذه محمد عبده* إلى الجانب الفكري والاجتماعي في عملية الإصلاح ، وقد رأى بحدسه القوي أن الموروث الفكري والثقافي للأمة الإسلامية لم يعد قادرا أمام حالة التردي وغلبة الاستعمار أن يجيب على كثير من هموم وانشغالات الأمة ، فضلا عن أن يحركها في اتجاهها الذي رسمه الإسلام المحمدي الأصيل ، فجاءت دعوته تستهدف تغيير اتجاه السلوك والأخلاق العامة باعتبارها العوامل الأساسية الموجهة للنشاط الإنساني من خلال إعادة قراءة هذا الموروث ، وتوجيه فيما يخدم الواقع الإسلامي ، فبدأ بدراسة التفسير لاعتقاده أن القرآن الكريم هو مصدر كل شيء يعود إليه المسلمون ، والأحرى دراسة ما حفلت به كتب التفسير التقليدية لتخليصها من كل ما حشرت فيه من القصص الإسرائيلي ، والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والنزعات المذهبية والآراء الكلامية الجافة ،وتوجيه التفسير إلى اللون الأدبي والاجتماعي .والحق أن مدرسة محمد عبده لها الفضل في هذا اللون التفسيري ،"هذه المدرسة التي قام زعيمها ورجالها من بعده بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى وهداية الناس إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة .."[1]

وغاية المنهج الذي دعا إليه ، وسار عليه تلامذته من بعده ، أنه جعل من التفسير مقاصديا يلامس مقاصد القرآن العليا ويتحرك معها،بدلا من أن يبقى متعثرا بين الألفاظ والأحكام المجزوءة فقال :" التفسير الذي نطلبه هو فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا والآخرة ، فان هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث فتابع له

* هو العلامة الشيخ محمد عبده ولد سنة 1848 م وتوفي سنة 1905 م بمصر ، من رجال الإصلاح في العصر الحديث كان من تلامذة الأفغاني جمال الدين ، ثم أسس مدرسته الخاصة بعد أن اختلف مع أستاذه في نظرته للإصلاح ، كان أبرز ما قام به محمد عبده هو الاتجاه إلى التفسير اتجاها اجتماعيا من أهم مؤلفاته تفسيره المشهور لجزء "عم" أتمه في بلاد المغرب ، وعد مرجعا لأساتذة مدارس الجمعية الخيرية

[1]- التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، ص523 ، ط04 ، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر 1988 م

ووسيلة لتحصيله .."[1] . فالواجب في التفسير بحسب الإمام عبده ".. ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد و الأحكام ، فالقصد الحقيقي هو الاهتداء بالأحكام "[2].

ومن أسس منهجه أيضا في التفسير والجديد الذي أضافه ، هو اعتبار القرآن الكريم جميعه وحدة متماسكة، فهم بعضه متوقف على فهم جميعه.. و اعتبار السورة كلها أساسا في فهم آياتها، واعتبار الموضوع فيها أساسا في فهم جميع النصوص التي وردت فيه.."[3] .

إن دعوة محمد عبده إلى التجديد لم تكن تستهدف تغيير مقررات إسلامية أو تعديلها ،وإنما اتجهت إلى السلوك الأخلاقي عبر دراسة القرآن بمنهجية جديدة ، ارتكزت في الأساس على المنهج التمثيلي ،وهو تأويل الآيات القرآنية التي يبدو ظاهر معناها غريبا يستبعده العقل،كما في الآية الكريمة {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[4]. إن المسخ لم يقع على أجسامهم ،بل على قلوبهم فبقوا أناسا لهم نفوس القردة وإنما يكون المراد مجرد تمثيل .

وكان المنهج التمثيلي من أهم دعائم مدرسة الاعتزال من قبل،وخاصة عند الزمخشري والذي استرشد به محمد عبده ، فرأى " أن ليس بضروري أن يكون هذا التمثيل واقع يستند إليه ولا سيما إذا كان تمثيلا لا يحكي قصة كاملة .. ولعل ماعزا الشيخ عبده إلى استعمال المنهج التمثيلي في فهم النص ، اعتقاده أن القرآن هو مصدر تشريع ومن ميزة هذا المنهج انه بسط

---

[1] -تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ،ج1، ص 11 ، ط 01

2- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ،ج 01 ، ص25

3- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، محمد البهي ، ص 175 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة مصر

[4] - سورة البقرة الآية 65

أسباب الاحتكام في الحياة الإنسانية وتوجيهها.. "[1]، كما وظف المنهج التاريخي في تفسير النص،ذلك الذي يصل حاضر الحياة بماضيها،ويبحث عن أسباب التطور الاجتماعي في حياة الأمة، وغاية اختيار محمد عبده لهذا المنهج ،محاولته التجديدية الرامية إلى ربط القديم ودراسته بالمستجدات في الواقع ،لتجعل النص القرآني يتحرك من الماضي إلى الحاضر مجيبا وحاكما .

كما أن مدرسة محمد عبده نهجت بالتفسير منهجا أدبيا أيضا ،كشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه ، وأوضحت معانيه وحثت على دراسة اللغة ألفاظا وما تعرضت له عبر التاريخ من تطور دلالتها ، وقد استفاد الشيخ محمد عبده من مفردات الراغب ودرسه للغة"[2]، وترسم خطاه في منهجه التفسيري الشيخ رشيد رضا و محمد مصطفى المراغي وشيخ الأزهر محمد شلتوت.

ب – الاتجاه الثاني : مدرسة التفسير الأدبي (أمين الخولي)

" القدماء فيما يقولون عن حياة العلوم الإسلامية قد قسموها ثلاثة أقسام :علم نضج واحترق وهو النحو والأصول ، وعلم نضج وما احترق وهو الفقه والحديث ، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير... وشاء الله أن يكون علم البيان وعلم التفسير من أول ما أقوم على خدمته ... وقد تقدمت إلى هذه المحاولة تحت الشعار الذي اتخذته لنفسي وهو:" أول التجديد قتل القديم فهما"[3].

[1]– دراسات في القرآن ،أحمد خليل ، ص 142

[2] – المصدر نفسه ، ص 144

[3] – دائرة المعارف" مادة تفسير" ، أمين الخولي ، ص429 ، المجلد التاسع ،دار الشعب ، القاهرة ، مصر بدون سنة

بهذه العبارة يبدأ الأستاذ أمين الخولي* عرض منهجه في التفسير ، فقدّم لمادة التفسير في دائرة المعارف، وهي حصيلة محاضراته في كلية الآداب بمصر،وكانت محاولة جيدة في تأصيل فيما عرف بـــ"مدرسة التفسير الأدبي"، و أمين الخولي" شخصيته جمعت بين الاتصال بالحضارة الغربية ومناهجها في الدراسة العربية والدينية فقد تخرج من مدرسة القضاء الشرعي وارتحل إلى أوروبا فأتقن الإيطالية والألمانية ... وألم بالحركة الإستشراقية ومناهج أصحابها في الدراسة ، وما كاد يستقر به الأمر أستاذا في الجامعة المصرية حتى تولى دراسة البلاغة العربية والتفسير ثم الأدب المصري وكان شديد الإعجاب بمحمد عبده فتأثر به وسلك سبيله في الدعوة إلى تجديد حياة التفسير القرآني"[1]

وبتأسيس الجامعة المصرية اتجهت الدراسة إلى علم التفسير ، في وقت كان الأزهر وحده ينفرد بالدراسات الدينية ، ودخلت مناهج اللغة والأدب وعلم النفس في فهم النص القرآني وتفسيره على غير ما كان مألوفا في الأزهر ، وباستقرار أمين الخولي أستاذا في الجامعة ومن خلال محاضراته ، وإشرافه على نخبة من الطلبة آنذاك قد تم توجيههم إلى التفسير واللغة ، يكون قد أرسى معالم المدرسة الأدبية وتأصيلها حتى إذا استوى منهجه الجديد ونضج واستقام عوده ، توّجت رؤيته في التجديد بكتابه القيم " مناهج وتجديد"[2]، شمل خلاصة مدرسته الأدبية في التفسير .

* ينظر ترجمته لاحقا في الفصل الأول ، المبحث الثالث

[1]– دراسات في القران ، احمد خليل ، ص 147

[2] – مناهج وتجديد في النحو والبلاغة والتفسير والآداب ، مطابع الطناني ، القاهرة مصر 1961م ، وهو مجموع ما كتبه في دائرة المعارف مادة تفسير والبلاغة

إن مدرسة التفسير الأدبي انطلقت على أساس النظر في المركبات التي تخلق العلاقة بين الألفاظ ، اعتمادا على موروث اللغة من نحو وصرف وبلاغة لكن – وهذا ما أثارته هذه المدرسة – أن لا يكون الاعتماد على علوم اللغة مقصود بذاته، ولا لون يلون التفسير كما هو شأن التفاسير التقليدية ، بل على أساس أنها أداة بيان المعنى وتحديده لا غير. فالنظرة البلاغية مثلا لا يراد بها تطبيق اصطلاح بلاغي معين ، ثم ترجيح صورة بيانية معينة أو إلحاق الآية من النص القرآني في قسم من أقسام البلاغة دون قسم ، بل أن النظرة البلاغية المطلوب هي الصورة الأدبية الفنيّة التي تتمثل الجمال في الأسلوب القرآني ، وتستبين معالم هذا الجمال وأسرار التعبير من الحرف إلى الكلمة ، ودلالات الألفاظ إلى الأسلوب ، فالقرآن الكريم بتعبير الخولي " كتاب العربية الأول" وعلوم العربية أسسّت بين النصوص العربية فكان الأولى أن تتأسس من النص القرآني لغويا وبيانيا.

ومدرسة التفسير الأدبي وإن كان مقصدها الأساسي أدبي محض ،ولا يخضع لاعتبارات التأويل الرمزية والفلسفية وغيرها مما تلون به التفسير قديما ، فهي لا تقدّم ذلك بعيدا عن المقصد الأسمى للقرآن وهو هداية الناس وتحقيق مبدأ الإيمان بالله ، ملمّة ببيئته الماديّة والمعنوية التي كونت النفسية العربية والمجتمع العربي، وكيف واجه المسائل الكبرى التي شغلت الإنسانية لتحقيق تلك الهداية وذلك الإيمان" النهج الذي نافح من أجله الشيخ أمين الخولي يجعل من دراسة القرآن دراسة أدبية منهجية في ضوء الظروف الحيوية المحيطة به ، فنظم القرآن المعجز لم يكن غرضا مقصودا لذاته ،بل كان وسيلة لإصلاح الحياة البشرية فهو (فن الحياة)"[1].

[1]– الرؤيا المقيدة ، شكري عياد ، ص173 ، ط1، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر 1987م

إن هدف مدرسة التفسير الأدبي هو التوجه لدراسة القرآن أدبيّا وفنيّا ، واعتبار الغرض الأول من التفسير والذي أقرته مدرسة محمد عبده،وآثرت بناء منهجها عليه الاهتداء بالقرآن "ليس أول ما يعنى به ويقصد إليه ، بل إن قبل ذلك كله هناك مقصد أسبق وغرض أبعد تشعب عنه الأغراض المختلفة سواء أكان المقصد الآخر علميا أو عمليا ، دينيا أو دنيويا ، ذلك الغرض الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم "[1] .

ومعنى دراسة القرآن أدبيّا وفنيّا لا يخلع عنه كونه كتاب هداية للناس،ولا تفصل هذه الدراسة القرآن عن الحياة ، بل إن هذا الاختلاف في المقصد بين الشيخ محمد عبده والأستاذ الخولي،مرده إلى المرجعية الفكرية بين الأزهر والجامعة المصرية – حسب رأينا – وهذا الفاصل هو الذي قسم التجديد في التفسير إلى اتجاهين .

فإذا المقصد هو من يحدد توجيه التفسير في القرآن ، فمن منطلقه تأسسّت مناهج تفسيرية عديدة ، و غاية هذه المدرسة إنها أقرت من البداية أن القرآن الكريم كان هدفه ومقصده الأول بيانيا وأدبيا، وليست هناك أيّة دراسة تستطيع أن توفي حق القرآن الكريم غير الدرس الأدبي ،كما هو درس نصوص الأدب عامة ، بل إذا كان أدب الشعوب هو التّراث الفكري الذي تفتخر به عبر تاريخها وحاضرها، فأولى للأمة الإسلامية والعربية أن تفتخر بتراثها العربي و" كتابها الأكبر"من خلال تفسيره تفسيرا أدبيا ،و إذا " كان الأدب في عامة أمره عملا خالقا ، فإن التفسير في جملة أمره كشف عن خصائص هذا الخلق وملامحه المميزة له ، وتحديد لجملة من الطاقات التي ينفرد بها

[1]– دائرة المعارف "مادة تفسير" ، أمين الخولي ، ص429

أديب عن آخر في لغته وبيانه وإحساسه بالحياة ودقة إدراكه لنواميسها .. وبين الأديب والمفسر أو بين صاحب النص والمفسر له قرابات وصلات ، فصاحب النص ينقل الحياة بألوانها المختلفة في لوحات فنية أداته في نقلها الكلمة ، والمفسر ينقل مرة أخرى : الحياة والفكر"[1].

تتميز مدرسة التفسير الأدبي بقسمات ومعارف خاصة ، إن اشرنا إليها مجملة في هذا المدخل فليس هنا موضع التفصيل ، وسنرجئ الحديث عنها في خصائص المنهج البياني عند بنت الشاطئ ،إحدى ثمرات هذه المدرسة العريقة، فهي لا تخرج فيما كتبت في التفسير أو في الدراسات القرآنية عن منهج أمين الخولي ، بل صرّحت بذلك بوضوح في مقدمة كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم "كان المنهج المتبع في درس التفسير – إلى نحو ربع قرن – تقليديا أثريا ، لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسّرون من قديم .حتى جاء شيخنا الإمام الأستاذ أمين الخولي فخرج به عن ذلك النّمط التقليدي ،وتناوله نصا لغويا بيانيا على منهج أصّله وتلقاه عنه تلامذته وأنا منهم ."[2]

فماهو الجديد في منهج التفسير الأدبي – المنهج البياني – ، وماهي خصائصه التي أسّست لهذا التجديد ,وأخرجته من ضيق الصّنعة والتّقليد إلى سعة النظّر وجمالية التّصوير؟

[1] – دراسات في القرآن ، أحمد خليل ، ص 11

[2] – التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن ،ج01 ، ط08 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر 2004 م

الفصل الأول
البيان من التأصيل إلى التجديد

الفصل الأول: البيـــــان بين التأصيل والتجديد

المبحث الأول: ما البيـــان ؟

1- القيمة البيانية

2- مفهوم البيـــان

أ - البيان لغة

ب- البيان اصطلاحا

المبحث الثاني: التفسير البياني من التكوين إلى التأصيل

1- مرحلة التكوين

2- مرحلة التأصيل

المبحث الثالث : التجديد في البلاغة والتفسير

المبحث الرابع : البلاغة وإشكالية التعقيد

1- نشأة البلاغة في بيئة المتكلمين

2- تأثير الفلسفة في البلاغة العربية

3- البلاغة وقضية الإعجاز القرآني

4- علماء البلاغة من غير العرب

5- تراجع الأدب العربي

المبحث الأول: ما البيـــان ؟

1- القيمـــــــــة البيانيـــــــــــة :

العرب أمة بيان وأئمة لسان ، لقد جبل العربي في صحرائه على عشق الكلمة ،وتذوق عذوبة الألفاظ، تهزه الخطبة وتطربه القصيدة ،حتى عمد إلى مختارات من الشعر العربي الرائق فعلقها على ظهر الكعبة المشرفة ، وهي أطهر بقعة مزج فيها العربي بين قداسة الكلمة وقداسة الروح حتى الأسواق الشعبية التي عادة ما تكون للبيع والشراء ، ومما يشغل حياة الناس اليومية ، ظلت مسرحا للأدب والشعر، يلتقي فيها فطاحلة الشعراء في "عكاظ" و "مجنة" و"ذي المجاز" و"المشقر" جاعليها منابر للتفاخر والمدح والهجاء .

فلا يصح في تحديد تاريخ الثرات الإنساني للعرب سوى الإقرار بأن البيان كل شيء في حياتهم ، وكل شيء بعد مماتهم ، بل إن الكم الهائل من الثرات العربي وعلى مر عصور استقر كله حول البيان ومنه انطلق .

2- مفهوم البيـــــــــــــــــــــــــــــان :

قبل التفصيل في مفهوم البيان ،نود التأكيد على ملاحظة منهجية هي أن الباحث سيرتكب خطأ كبيرا إن اعتقد أن الاهتمام بالبيان،بأساليبه وأنواعه كان من اختصاص علماء البلاغة وحدهم والذين عدوا علم البيان أحد الأقسام الثلاثة التي ينقسم إليها علم البلاغة العربية (علم المعاني – علم البيان – علم البديع) ، فالبلاغيون " .. الذين اتجهوا هذا الاتجاه كانوا آخر من ظهر على

مسرح الدراسات البيانية ،كما أن تصنيفهم ذاك لعلوم البلاغة لم يتقرر بصورة نهائية إلا في مرحلة متأخرة وبكيفية خاصة مع السكاكي (ت سنة 626هـ) ."[1]

فالبيان قبل السكاكين، وقبل تأسيس البلاغة التطبيقية كعلم مستقل،كان حقلا معرفيا لكل من اللغوي والمتكلم والنحوي والفقيه ، وصعوبة الوقوف على تاريخ المصطلح وتطوره تزداد إذا علمنا أن اللغوي كان متكلما ونحويا وفقهيا في الآن نفسه ، مما يجعل مفهوم "البيان" يتحرك عبر هذه الأنواع الثقافية المختلفة ، ويذهب أحد الباحثين المعاصرين وهو الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه "بنية العقل العربي" إلى التأكيد على أن البيان كحقل معرفي مقابل حقل "البرهان"و"العرفان"، يشكل منظومة معرفية "كرسته العلوم المعرفية والإسلامية الاستدلالية الخالصة ونعني بها النحو والفقه والكلام والبلاغة " ، ثم إن" اللغويين والنحاة والبلاغيين وعلماء أصول الفقه وعلماء الكلام سواء كانوا معتزلة أو أشاعرة أو حنابلة أو من الظاهرية ،كلهم وبكلمة واحدة علماء البيان"[2]، وسواء وفّق الجابري في هذه الحكم أم لم يوفّق ، فإن البيان كان ولا يزال يمثل الركيزة الأساس في الثقافة العربية والإسلامية إلى اليوم.

أ- البيـــــــــان لغـــــــــة :

يورد الأصبهاني (ت 502 هـ) تعريفا للبيان بقوله:"هو الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق ، مختص بالإنسان ويسمى ما بين به بيانا،ويكون على ضربين.

أحدهما بالتنجيز وهو الأشياء التي تدل على حال من الأحوال من آثار صنعه .

[1] - بنية العقل العربي ، محمد عابد الجابري ، ط 03 ص 14 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان 1990 م

[2] - المصدر نفسه ، ص14

والثاني بالاختبار، وذلك إما أن يكون نطقا أو كتابة أو إشارة.

فمما هو بيان بالحال قوله تعالى :{ {وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[1]

أي كونه عدوا بيّن في الحال ، وما هو بالاختبار قوله تعالى {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[2]، وسمي الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو: {هَـــذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}[3].و سمي ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بيانا نحو قوله تعالى {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}[4] "[5].

أما الجاحظ (ت 255هـــ) ، ففي كتابه "البيان والتبيين "عرض للبيان وخصائصه ، وأورد تعريفا له قال" البيان إسم جامع لكل شيء كشف لك القناع المعنى ،وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ،ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ،ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فأي شيء بلغت الإفهام ،وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان في ذلك الموضع "[6]،والملاحظ في تعريف الجاحظ إهتمامه إلى جانب قضية الفهم – وهي محور البيان– على جانب آخر وهو "الإفهام" ، أي إفهام السامع والمتلقي وإقناعه ، ومن هنا أدخل الجاحظ السّامع كعنصر محدد

[1]– سورة الزخرف الآية 62

[2]– سورة النحل الآية 44

[3] – سورة آل عمران الآية 138

[4] – سورة القيامة الآية 19

[5] – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصبهاني ، ص.69 ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة 1961 م

[6] – البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي ،ج01 ، ط01 ، ص 54 ، دار صعب ، بيروت 1968 م

للعملية البيانية ، ولربما هذا ما دفع به إلى أن يسلك في مؤلفاته وبخاصة " الحيوان " و "البيان والتبيين " أسلوب التنويع والاستطراد قصد الترويح عن السامع وشده إليه.

و الزمخشري(ت 538 هـــ) يقول في تفسيره "الكشاف" عند تقديمه لسورة الرحمان إن الله "ذكر ما يميز به الإنسان من سائر الحيوان من البيان ، وهو المنطق – النطق- الفصيح المعرب عما في الضمير"[1]، ويتّضح من هذا التعريف ، أن البيان يقابل العقل في التعريف الأرسطي المشهور " الإنسان حيوان ناطق – عاقل -".

وعرّف ابن عبد ربه في" العقد الفريد" البيان بقوله: " كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفي ،حتى يتأدى إلى الفهم ويتقبله العقل ، فذلك هو البيان الذي ذكره الله في كتابه ،ومن به على عباده فقال تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَان}"[2]،ثم يضيف "وقال صاحب المنطق حد أرسطو الإنسان الحي الناطق المبين "[3] .

أما ابن منظور (ت 711هـــ) فيعرفه "ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها ، وبان الشيء بيانا اتّضح وتبيّن الشيء ظهر ، والتّبيّن الإيضاح والبيان الفصاحة ،وكلام بيّن فصيح والبيان الإفصاح مع ذكاء ، والبيّن من الرّجال الفصيح ، والبيان إظهار المقصود أبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن وأصله الكشف و الظهور "[4].

---

[1]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،ج.04، ص.443 دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان

[2]- سورة الرحمان الآية 1- 4

[3]- العقد الفريد ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ،ج.02 ص.02 ،لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، مصر 1953 م

[4] - لسان العرب ، محمد ابن مكرم ابن منظور، ج.01 ص.214 ، دار صادر ، بيروت لبنان

ونخلص من جملة المفاهيم للفظ البيان إلى معنى" الكشف والظهور"، وأنّه خاصية ترتبط بالإنسان كما العقل في المنطق الأرسطي ، وإن لم يكن غرضنا استقراء جميع أقوال أصحاب هذا الفن فذلك له مجاله في غير هذه الدراسة .

ب- البيـــــــــــــــان اصطلاحا :

يعدّ عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـــ) مطوّر البحث البلاغي،وواضع أصوله في كتابيه : "دلائل الأعجاز" و" أسرار البلاغة "، و لم يكن عبد القاهر مهتمّا بإعطائنا أيّة حدود بلاغية تخص التعريف في أي مجال ، بل كان يؤثر الحديث عن قيمة أيّ أصل بلاغي وفنيّة دلالته بدل الدخول في تحديدات مركبة ، فهو يتكلم عن البيان مصرّحا به دون تسميته اصطلاحا،يقول " ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا ،وأبسق فرعا،وأحلى جنى ،وأعذب وردا ،وأكرم نتاجا ،وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ،ويصوغ الحلي ،ويلفظ الدر ،وينفث السحر ويقري الشهد ،ويريك بدائع من الزّهر ،ويجنيك الحلو اليانع من الثّمر ،والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها ،وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ،ولما استبنت لها يد الدهر صورة ،ولاستمر السّرار بأهلتها واستوى الخفاء على جملتها , إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء "[1].

لقد قدم الجرجاني في هذا النص وصفا تقييميّا للبيان ،مظهرا أهمية هذا الفن ، وإن لم يقف على المفهوم بالطريقة التي سلكها المناطقة وعلماء الكلام في كثير من تعريفاتهم ،كأنه قصد ذلك

[1]- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ص4 ، تصحيح محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي ، مطبعة المنار، القاهرة

عن عمد ،ولاعتقاده أيضا أنه من الصعب إضفاء صبغة الجزم على علم يتسع لمعالم عديدة،اتساع اللغة والفن اللذين لصقا به وهما العربية والبلاغة ، وربما هذا ما دفع بالأستاذ أحمد مطلوب على التأكيد أن للبيان "عند هؤلاء – الجرجاني و الزمخشري – معنى واسعا يدل على البلاغة كلها ويكاد كلهم يجمعون على أن البيان هو الإفصاح عما في النفس من المعاني والأحاسيس،وهذا معنى أدبي جميل أعطى البلاغة حياة ،وأكسبها رونقا ،وفتح أمامها السبيل لتخوض موضوعات أدبية بديعة وتكون للمؤلفين أراء نقدية طريفة " [1].

إلى أن استقر مصطلح البيان على تعريف السكاكي (ت. 626هـ) بقوله :" هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ،ليحترز على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد "[2].

ويطرح هذا التعريف مسألة كون البيان علم يهتم بمطابقة الكلام للمراد منه ، وبالتالي فهو يجعل قصد المتكلم مركز اهتمامه . وكان السكاكي بعد الجرجاني ، أول من قسم البلاغة إلى معان وبيان ومحسنات ، وحدد موضوعاتها وأرسى قواعدها "و أنه أول من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح " علم المعاني " ،وعلى الموضوعات التي تبحث الصورة الأدبية : التشبيه والمجاز والكناية مصطلح "علم البيان " ، وأنه أول من سمى غير هذه البحوث محسنات أو وجوها مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام "[3]. على أنه ورغم جهده في هذا المجال، إلا أنه أقحم البلاغة في مجالات المنطق والحدود،والتقسيمات التي أفقدت رونق البيان ،وأحالته قوالب صماء

[1] – فنون بلاغية ، أحمد مطلوب ص 20 ،دار البحوث العلمية ، الكويت 1975 م

[2] – مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر السكاكي ، ص 77 ، المطبعة اليمنية ، نشر البابي الحلبي وأخويه ، مصر

[3] – مصطلحات بلاغية ، أحمد مطلوب ، ص 56، ط 01 ، مكتبة العاني ، بغداد 1972م

فكان عيبه أنه ،" أول من استقل بالبحث البلاغي بعيدا عن قضية الإعجاز القرآني ، كما عزل البلاغة عن معاني النحو التي قرر الجرجاني بحق أنها داخلة في النظم ،وهو الذي جعل البلاغة في "مفتاح العلوم"علما يحصل،وصنعة تضبط بقواعد منطقية....فمع السكاكي خرج البيان من الذوق الجمالي و" فن القول "،إلى قوالب الصنعة وأغلال المنطق ، وشغل بالحدود والتعريفات عن لمح سر البيان وذوق الأسلوب وروح النص "[1].

ليأتي علم البيان بعد السكاكي مرسلا إرسال المسلّمات،كما عند ابن الأثير(ت636 هـــ) " وصاحب علم البيان .. عليه بالنظر في كتابنا هذا أو التصفح لما أودعناه من حقائق علم البيان "[2] ثم يحدد في نفس الصفحة موضوع علم البيان "موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة،وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية،وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي،وتلك دلالة عامة،وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة،والمراد بها أن يكون عل هيئة مخصوصة من الحسن،وذلك أمر وراء النحو والإعراب "[3]، والجمال هو الميزة التي لا ينازع علم البيان فيها أي علم حتى الذي يشترك معه من جهة الدلالة وهو علم النحو ،والفكرة قد سبق إليها الجرجاني في ربط النحو بالنظم كما سنري في المبحث الثاني .

---

[1] – الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق ، عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ– ص129–130 ، ط03 ، دار المعارف مصر

[2] – المثل السائر ، أبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير ،ج01 ص 36، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار النشر المكتبة العصرية بيروت لبنان 1995 م

[3] – المصدر نفسه ص 36–37

وتظل تقسيمات السكاكي و القزويني (ت 739هـ) وسعد التفتازاني (ت792هـ) فيما بعد مجال الدرس البياني ، ومحور النظام المدرسي التعليمي للبلاغة العربية ،إذ فقدت على مدار تلك المرحلة قيمتها الفنية والأدبية التي وجدت من أجلها ، ولنا في المبحث الثالث وقفة على الإشكالات التي آلت إليها البلاغة من التعقيد وفقدان فن القول .

يبقى أن" البيان "رغم الاختلاف في تاريخ ظهوره ومن له السّبق في الكشف عنه ، إلا أنه أهم حقل معرفي في منظومة الثقافة العربية إلى اليوم،إن لم يكن أولها على الإطلاق ، بدأ شاملا موسعا ، فيه كان يجد الفقيه والأصولي والمتكلم والأديب ذاته المعرفية ونظامه الفكري ، ثم تقلّص دوره بعد أن استقلت المعارف الإسلامية وانتدبت لها حقولا معرفية خاصة ، لنراه يأخذ حيزا صغيرا من تلك الأقسام البلاغية وهو "علم البيان" .

أصبح من الضرورة الملّحة ، إخراج البيان من تلك الضائقة التي أوقعته فيها آليات الصنعة ، وتعقيدات التعاريف والحدود إلى رحابة اللغة والفن اللذين ما كانا لولا البيان ، حتى أنه ليشعر الباحث وهو يتحرى تعريفا للبيان وكأنه يعبث أمام فن من فنون القول يضيق التعريف ويعجز أن يحدد مجاله .

إن ما تحاوله مدرسة التفسير الأدبي بمنهجها البياني في إرجاع الذائقة الفنية للبلاغة وللقول عامة ، تعكس خطورة ما آل إليه البيان العربي ، وأخطر منه أن يفقد الإنسان العربي تذوقه للقرآن الكريم وهو أرقى النصوص قراءة وفهما وتذوقا لمعانيه ، فضلا عن أنه كتاب الله وكلامه المعجز.

المبحث الثاني: التفسير البياني من التكوين إلى التأصيل

إذا كان الاهتمام بالتفسير يمكن الرجوع به إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان الصحابة يستفسرونه عن بعض معاني الكلمات أو العبارات الواردة في القرآن ، أو على الأقل على عهد الخلفاء الراشدين حينما أخذ الناس يسألون الصحابة عما استشكل عليهم من آي القرآن فإن الاهتمام بوضع شروط للتفسير البياني لم يبدأ إلا مع ظهور الأحزاب السياسية والفرق الكلامية بعد حادثة التحكيم المشهورة[1] ، حينما أصبحت الخطابة والجدل الكلامي من وسائل نشر الدعوة وكسب الأنصار وإفحام الخصوم.

ومع ذلك وبالرغم من ظهور شخصيات من الصحابة اهتمت بتفسير القرآن ، وتوظيف الشعر الجاهلي لبيان دلالة الألفاظ باعتباره ديوان العرب ، وكان بحق عبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت.68هـ) " أول المفسرين ورائدا في الدراسات اللغوية والعربية"[2]،غير أن ما نقل عنه كان شفهيا ،ولم تكن محاولات علمية مؤسسة ترمي إلى التنظير لثقافة التفسير البياني ،مما يجب على كل ثقافة من قوانين وأسس لتفسير نصوصها ، ويبقى عصر التدوين* هو العصر الذي تكفل بالانتقال بالثقافة الإسلامية من الشفهي إلى الكتابة والتنظير.

---

[1]- وهي الحادثة التي تم فيها وقف القتال بين علي ومعاوية في معركة صفين سنة 37 هـ ، وظهرت بعدها الطوائف السياسية والمذهبية من خوارج وشيعة ، ثم المعتزلة فيما بعد كاتجاه فكري ،كلامي

[2]- تاريخ التراث العربي ، محمد فؤاد سزكين ،ج01 ص43 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1977 م

* هو العصر الذي يمتد زمنيا ما بين منتصف القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث للهجرة ، تمت فيه جمع التراث العربي الإسلامي وتدوينه كاللغة والتفسير والتاريخ و ترجمة الفلسفة ونقلها من اليونانية إلى العربية ، وهو العصر الذي أسس للثقافة العربية والإسلامية

1 – مرحلة التكوين:

التفسير البياني أحد أهم مجالات الثقافة الإسلامية التي بدأت بوادرها تظهر على يدي جملة من المؤلفين :

أ- مقاتل بن سليمان* (ت.150هـ) اهتم بظاهرة تعدد دلالة الكلمات والعبارات في القرآن الكريم من خلال كتابه " الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ".

اتخذ مقاتل في كتابه "الأشباه والنظائر" منهجا خاصا في تناول النص القرآني ، مبرزا تعدد الدلالات في اللفظ الواحد ، وكانت الفكرة عنده تعنى بالدرجة الأولى بشرح معنى اللفظ في سياقاته المختلفة ، يقول" لا يكون الرجل فقيها حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة"[1]،لقد أدرك مقاتل إدراكا واضحا أن للّفظ الواحد معنى محددا أو وجها محددا،وأدرك أن باقي الوجوه أو المعاني فروع لذلك المعنى أو الوجه ، وبالتالي يكون هو أول من تكلم في البحث الدلالي للكلمة ، فكلمة الموت – مثلا –" لها خمسة وجوه ، الأربعة الأولى كلها معاني فرعية ،كأن يشار بها في القرآن إلى النطف التي لم تخلق أو إلى الضّال عن التوحيد ، أو إلى جذوبة الأرض،وقلة النبات أو ذهاب الروح عقوبة بغير أن يستوفوا الأرزاق، ثم يشير مقاتل إلى الوجه الخامس– الأصلي– بقوله الموت بعينيه ، ذهاب الروح بالآجال وهو الموت الذي لا يرجع صاحبه إلى الدنيا فذلك قوله تعالى{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم

* هو مقاتل بن سليمان توفي سنة 150هـ ، ينسب إليه القول بالتجسيم وكان خصما عنيدا لجهم ابن صفوان (ت128 هـ) صاحب مذهب الإرجاء في الإيمان والجبرية في الأعمال ، وقف إلى جانب الأمويين ضد المعارضة ، ألف كتابه "الأشباه والنظائر في القرآن "، وهو تطوير لفكرة الإمام علي في قوله "القرآن حمال أوجه" ، فبحث تعدد دلالات اللفظ الواحد في القرآن ، ففتح بذلك المجال في التفسير البياني فيما بعد.

[1]-نقلا عن " الإتقان في علوم القرآن"عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ،ج01 ط ،03 ، ص 141، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة 1951 م

مَّيِّتُونَ }[1]، وقوله تعالى{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }[2] وهذا الوجه الخامس هو المعنى المباشر أو الأصلي لكلمة الموت ، أما باقي الوجوه الأربعة فهي معان فرعية "[3].

ومن ثمّ كان كتاب مقاتل يتعرض لبعض الألفاظ والعبارات التي وردت في القرآن الكريم ويحاول أن يحصر"وجوه" معاني هذه الألفاظ والعبارات ، مستدلا على وجه من هذه الوجوه بمجموعة من الآيات القرآنية،فعبارة " الظلمات والنور "- على سبيل المثال – لها "وجهان،فوجه منهما الظلمات يعني الشرك ، فذلك قوله تعالى في سورة البقرة{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }"[4]، يعني يخرجهم من الشرك إلى الإيمان نظيرها عنده،وقال في سورة الأحزاب{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً }[5]،يعني من الشرك إلى الإيمان،ونحوه كثير،والوجه الثاني الظلمات ، الليل والنور يعني النهار ، وذلك في قوله في سورة الأنعام {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ }[6] يعني الليل والنهارليس مثلهما في القرآن "[7]،

---

[1]- سورة الزمر الآية 30

[2]- سورة الأنبياء الآية 35

[3]- الاتجاه العقلي في التفسير ، نصر حامد أبو زيد، ص98، ط05 ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب 2003م

[4]- سورة البقرة الآية 257

[5]- سورة الأحزاب الآية 43

[6]- سورة الأنعام ، الآية 01

[7] - الأشباه والنظائر في القرآن ، مقاتل ابن سليمان ، دراسة وتحقيق عبد الله محمود شحاتة ، ص 116 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1975 م

غير أن الكتاب لم يستوف البحث الدلالي كاملا،ولم يحقق غاية المنهج البياني في التفسير،وبقي خطوة أساسية فتحت المجال للدراسات البيانية فيما بعد .

ب – أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء* (ت207هـــ)،فتناول في كتابه"معاني القرآن" ظاهرة التجوز والاتساع في النص القرآني ، وذكرا الأستاذ بروكلمان أنه "أول من قعد لدرس تفسير القرآن في مسجد من مساجد بغداد ، ولو لا الفرّاء لما كانت اللغة ، لأنه خلصا وضبطها ولولا الفرّاء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم ، فتذهب "[1].

و الفرّاء أشهر تلامذة الكسائي أحد القراء السبع ، و أوّل من تناول مسائل النحو ومصادر اللغة وفلسفة اللغة العربية في كتابه " معاني القرآن " ،وقد بدأ بإملاء هذا الكتاب على تلامذته استقراء من فاتحة الكتاب حتى استوفى القرآن العظيم " فكان الرجل من تلامذته يقرأ الآية والفرّاء يفسر ، وهكذا أتم الكتاب إملاء من غير نسخه "[2].

والمتأمل لمنهج الفرّاء في التفسير ، يلحظ اهتمامه الشديد بالقراءة ،واعتبارها الأصل العلمي في الدراسات القرآنية ، ذلك أنه يراد بهذا المنهج تصحيح القراءة وضبط التلاوة ، فتحريف القراءة ينجر عنه تحريف اللفظ ومعه المعنى ،فهذا المنهج قبل الفراء لم يكن مدونا بل كان يعتمد على

* هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء ولد سنة 144هـــ بالكوفة وتوفي في طريق عودته من مكة سنة 207هـــ وقيل 209 هـــ ، عاش في فترة أبي جعفر المنصور ، لقي الكسائي فصاحبه وأخذ عنه ، وأشهر ما خلف من مؤلفاته " معاني القرآن"

[1] – تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ، ج04 ، ص09 ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر 1961 م

[2] – ينظر تفصيل ذلك "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، لابن خلكان أحمد بن محمد بن أبي بكر ،ج06 ، ص 178 تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت لبنان 1968 م

الحفظ والذاكرة .ومن الاهتمام بالقراءة جاء الاهتمام بالصنعة النحوية في النص القرآني لأنه العلم الوحيد الذي ضبط الكلمة القرآنية وضبط معها معنى القرآن وتجلياته .

ومن اللمسات البيانية في تفسيره،تبيانه لأسلوب الإضمار في قوله تعالى{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً }[1]" قال " يريد به الوادي و لم يذكر قبل ذلك وهو جائز، لأن الغبار لا يثار إلا من موضع وإن لم يذكر،وإذا عرف اسم الشيء كني عنه وإن لم يجر له ذكر"[2]، والاستعارة في قوله تعالى{أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ }[3] " أي كان ضالا فهديناه"[4]

ج- على أن أهم محاولة في تأسيس قوانين التفسير البياني للقرآن الكريم من بين المحاولات الرائدة ، هي تلك التي قام بها أبو عبيدة معمر بن المثنى* (ت.215هـ) ، إذ تناول في كتابه "مجاز القرآن" الأساليب البيانية البلاغية في القرآن الكريم التي ستصبح فيما بعد دراسات مفصلة لاستنتاج قوانين وآليات التفسير البياني ، ويقال في سبب تأليفه لكتاب " مجاز القرآن " أن بعضهم سأله في حضرة الفضل بن الربيع والي البصرة في عهد الرشيد عن قوله تعالى {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ }[5]،وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله ،وهذا لم يعرف فقال أبو عبيدة : إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول أمرؤ القيس :

---

[1]- سورة العاديات ، الآية 04

[2] - مناهج في التفسير، مصطفى الصاوي الجويني ، ص 54، منشأة المعارف الاسكندرية ، مصر

[3]- سورة الأنعام الآية 122

[4] - معاني القرآن ، الفراء ، ج01، ص353 ، ط01، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد النجار، دار الكتب المصرية 1955 م

*هو أبو عبيدة معمر بن المثنى النحوي مولى تميم بن مرة ولد ومات في البصرة ، استخدمه هارون الرشيد ، وكان واسع الإطلاع باللغة والأدب والنحو ومن أكثر المؤلفين في العصر العباسي ، ويعد كتابه "مجاز القرآن "من أوائل الكتب التي بحثت في البيان القرآني وأساليبه ، ومقارنته بالبيان العربي ، واختلف في تسمية الكتاب ، من قائل اسمه" غريب القرآن" وقائل اسمه" إعراب القرآن" ، لكن الأستاذ محمد النجار رجح في مقدمة تحقيقه الكتاب أن اسمه "مجاز القرآن"

[5]- سورة الصافات الآية 64-65

أيقتلني و المشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك ، فاستحسنه السائل وعزم أبو عبيدة منذ ذلك اليوم أن يضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباهه مما يحتاج إليه من علمه فكتب كتابا سماه "المجاز "[1]

ولأن الجهل بالأسلوب القرآني له خطره في فهم معاني القرآن الكريم ، فذلك ما دفع أبو عبيدة لتأليف هذا الكتاب خصوصا وأن عصره ، عصر الزنادقة والملاحدة والغريب في شخصية أبي عبيدة نفسها أنه كان " فارسيا شعوبيا متعصب على العرب،وكان يهودي الآباء وكان مسلما ملما بمعارف واسعة جدا "[2]،وشهدت حركة العلماء آنذاك نشاطا في الرد على شبه المشككين ليأتي "مجاز القرآن لأبي عبيدة أحد أهم مظاهر نشاط العلماء في تلك الفترة واهتمامهم بالدراسات القرآنية ، سعيا في الرد على شكوك الطاعنين ، حيث نجد أن أبا عبيدة تناول في كتابه طرق التعبير القرآني مع عرضها ما للعرب من فنون في التعبير ، وبين أن لها مثيلا فكأنه يريد التدليل على عربية القرآن وفصاحته وأنه لم يأت بجديد لم تألفه العرب في كلامها "[3].

أما فكرة المجاز عند أبي عبيدة لم تكن في مقابل الحقيقة كما استقرت عند البلاغيين فيما بعد،وإنما " تساوي طريق الجواز إلى فهم اللفظة القرآنية " [4]،كأنه يريد لكلمة المجاز أن تؤدي معنى

[1] – ينظر تفصيل القصة في" معجم البلدان" ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، ج 19 ، ص 158 -159 ، دار الفكر، بيروت لبنان

[2] – مناهج التفسير، مصطفى الصاوي الجو يني، ص58

[3] – أثر القرآن في تطور النقد العربي، زغلول سلام ، ص41 ، ط03 ،دار المعارف ، مصر

[4] – المصدر نفسه ص 43

التفسير لا غير،وهي مطلقة ، وذلك " بالانتقال من المعنى القريب أو التركيب المعهود للألفاظ والعبارات إلى معاني وتراكيب أخرى اقتضاها الكلام "[1].

ومن جملة الأمثلة على ذلك ما يؤدي الانقلاب في مدلول الكلمة إلى ضدها ،" فقد ينقلب معنى (وراء) إلى (قدام) في قوله تعالى{ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ}[2] مجازه – تفسيره – قدامه وأمامه ، يقال أنّى الموت من ورائك أي قدامك :

أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دوني

أي قدام بني رياح "[3] .

د- ذهب عميد الأدب العربي طه حسين (ت1973م) إلى أن الجاحظ*(ت255هـ)"يعد مؤسس علم البيان العربي "[4]،وربما كان كتابه "البيان والتبيين"، مضافا إلى كتاب "الحيوان" دليلا ينهض على صحة هذا القول ، إذ عرض فيهما جملة مهمة من مباحث المعاني والبيان،إلا أن العرض هذا من قبل الجاحظ جاء مجزءا ومفرقا لم يكن متفرغا للقرآن كله بل لبعض من آياته كما يبدو ذلك من خلال معالجته البيانية في" نظم القرآن" و" البيان والتبين".

---

[1] – المصدر نفسه ص 44

[2] – سورة إبراهيم الآية 16

[3] – مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ،ج1، ص337، ط01 ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، نشر الخانجي 1954 م

* هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ (163-255هـ) ، ولد بالبصرة حظي باهتمام الدارسين ، يعد علما بارزا من أعلام الأدب والنقد ، قد استقطب ثقافة عصره ، كان معتزلا متكلما بارزا ، عد في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة ، جمع بين التفكير العلمي والحس الأدبي ، أشهر ما ألف "البيان والتبيين "والحيوان "، على أن أهم الكتب التي ألفها في البيان القرآني"نظم القرآن "، "حجج النبوة "، مسائل القرآن" ، وكان بارعا في الرد على منكري الإعجاز والنبوة من الملاحدة والزنادقة .

[4] – مقدمة "نقد النثر" ، طه حسين ، ص03 ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان 1980 م ، والكتاب منسوب خطا لقدامة بن جعفر ، وهو لابن وهب الكاتب ، وأعيد طبع الكتاب بعنوان البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر طبعة المكتبة العلمية بيروت بدون سنة

والحق أن الجاحظ – وهو المعتزلي – قد ساهم إسهاما كبيرا في البحث عن مكامن البيان والبلاغة في القرآن شارحا لها ، فجاءت مباحث كتبه في سياق الرد على الطاعنين في القرآن من المانوية وغيرهم من الشّعوبيين ، أولئك الذين شكّلوا عبر مراحل من التاريخ الحركة المعارضة لتيار المعتزلة ، الفرقة التي ساهمت أكثر من غيرها في إبراز خصوصيات البيان العربي وتحليل أساليبه في التعبير وضبطه ، بل إن الجاحظ نفسه يؤكد هذا الدور للمعتزلة ، فيقول : " لولا المتكلمون لهلكت العوام واختطفت واسترقت ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون "[1].

وهو صاحب نظرية في النظم اعتمد فيها على التوافق بين اللفظ والمعنى وذلك معنى البلاغة يقول :" قال بعضهم وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه لا يكون الكلام بليغا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك "[2]

والنظرية نفسها– نظرية النظم – ستناقش وبشكل دقيق ومفصل من قبل العلامة الجرجاني ويطبقها الزمخشري في تفسيره.

ومن اللمسات البيانية الرائعة في تفسيره لبعض الآيات القرآنية هو دعوته إلى التأمل البعيد ذلك التأمل الذي لا يقف على مظاهر الأشياء من صغر وضآلة،ولكن ينفذ إلى حقائق الأمور واستبطانها ،للاستفادة من الطبيعة بما يملأ العقل والروح فيشيعها ، فكل الأمور في هذا الكون على صغرها هي مواضع للمعرفة ومنابع للوعي والتدبروالبيان يقول" هل فكرت في النحلة والعنكبوت والنملة، وأنت ترى الله تقدس وعن كيف نوه بذكرها ورفع من قدرها وأضاف إليها السور

[1] – الحيوان ، الجاحظ ، ج01 ، ص153، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1957 م

[2] – البيان والتبين ، الجاحظ ج .01 ص. 81

العظام والآيات الجسام وكيف جعل الأخبار عنها قرآنا وفرقانا حيث يقول{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }[1]،فقف على صغر النحل وضعف أيدها ، ثم ارم بعقلك إلى قوله تعالى {ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[2]، فإنك تجدها أكبر من الطود وأوسع من الفضاء ، ثم انظر إلى قوله{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }"[3]،فما ترى في مقدار النملة في عقل الغبي وغير الذكي ؟ فانظر كيف أضلف الوادي إليها وخبر عن حذوها ونصحها لأصحابها وخوفها ممن مكن فإنك تجدها عظيمة القدر رفيعة الذكر،قد عظمها في عقلك بعد أن صغرها في عينيك "[4].

كما أن الجاحظ هو أول من استعمل المجاز للدلالة على جميع الصور البيانية أو على المعنى المقابل للحقيقة ،فهو حينما يتحدث عن المجاز القرآني فإنه ينظر له في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً}[5]،و يعد هذا من باب المجاز والتشبيه "[6].

---

[1] – سورة النحل الآية 68

[2] – سورة النحل الآية 69

[3] – سورة النمل الآية 18

[4] – الحيوان ، الجاحظ ، ج5 ، ص 544- 545

[5] – سورة النساء الآية 10

[6] – الحيوا ن ، الجاحظ ، ج05 ، ص25 و ما بعدها

وعلى خلاف من سبقوه يعتبر المجاز في قبال الحقيقة وقسيم لها,وتلك بداية لها قيمتها الفنية,لذا عده طه حسين أول من تكلم في البيان.

هـــ- أما عبد القاهر الجرجاني* (ت471 هـــ) مطور البحث البلاغي و واضع أصوله الفنية في كتابيه الجليلين "دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة ".

لقد بحث في" أسرار البلاغة " مفردات "علم البيان " وفي طليعتها المجاز, و بحث في "دلائل الإعجاز" أغلب مفردات "علم المعاني" ،كما اعتبر أن المجاز القرآني من أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز ، إليه تنسب "نظرية النظم في القرآن" وذهب إلى أن إعجازه البياني يكمن في النظم وهي نفس الفكرة التي أثارها الجاحظ من قبل ، بيد أن الجرجاني كان أكثر دقة في تحديد أبعاد هذه الفكرة لاعتقاده أن القيمة البيانية للقرآن الكريم وإعجازه تتوقف في البحث عن النظم ، بمعنى "تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسب بعض "[1]، فلم يول اهتماما للكلمة المفردة لأنها تصبح في النظم شيئا آخر،ولا تحمل متسع الدلالة كما تحملها في سياق النظم"إنه ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التآليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلام ، إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا ، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضم كلمة

* هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني نسبة إلى جرجان المدينة الفارسية التي تقع بين طبرستان وخرسان ، توفي سنة 471 هـــ واختلف في تاريخ مولده ، كان أشعريا شافعيا، متكلما ونحويا وفقيها ومفسرا وشاعرا ونحويا بيانيا ، له مصنفات عديدة في كثير من الفنون أشهرها كتاباته البلاغية "دلائل الإعجاز "، "أسرار البلاغة "، الرسالة الشافية" ، كانت فكرة الإعجاز من القضايا التي اشتغل بها وأوقف عليها أهم مؤلفاته

[1] - دلائل الاعجاز ، الجرجاني ، ص57

إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة "[1] وهو بهذا لا يعتبر الكلمة المفردة ذات شأن في قضية الإعجاز البياني ،وعلى مثل هذا سار رواد المنهج البياني في التفسير من الزمخشري وغيره ، ممن جاءوا بعده.

والجرجاني أول من أصّل البحث في البيان العربي ونظر إلى النظم و السّياق في القرآن بنظرة عميقة, و نقرأ له في هذا المجال عمقه في التحليل :" وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ؟ وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة ، وفي خلافها لفظة قلقة ونابية ومستكرهة إلّا وغرضهم أن يعبروا بالتمكّن عن حسن اتّفاق بين هذه وتلك من وجه معناها وبالقلق و النبوّ عن سوء التلاؤم وان الأولى لم تلق بالثانية في معناها وان الثانية لم تصلح أن تكون لفقا للثانية في مؤداها "[2] لقد أغنى الجرجاني البيانيين من بعده في البحث عن الكلمة إن كانت تؤدي إلى فهم عميق وتفسير جلي لمراد الله أم لا ليؤكد أن البلاغة والفصاحة ومن ثم البيان إنما كان لأمر جديد في القرآن الكريم لم يعرفه العرب من قبل على الرغم من معرفتهم العميقة للكلمة ولكن ما هو هذا الأمر؟ " إنه لا يمكن أن يكون في الكلمة ، لان كلمات القرآن معروفة للعرب فلا يمكن أن تكون الكلمة معجزة وغير معجزة ، معجزة أن وجدت في القرآن ، وغير معجزة إن في تركيب آخر ولا يمكن أن تكون كذلك معنى الكلمة المفردة . إن معاني القرآن معلومة لديهم كذلك ولا يجوز أن تكون في الحركات ، كما لا يجوز أن تكون في القواطع والفواصل "[3] فلا يبقى إلا النظم وحده وهو عنده ليس شيئا غير توخي معاني النّحو وأحكامه فيما بين الكلم "، وهو يتجه بمعاني النحو إلى مواضعها

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 97

[2] – المصدر نفسه، ص39

[3] – الكلمة القرآنية ، فضل محسن عباس ، ص35 ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، السنة الثانية العدد الرابع ديسمبر 1985 م

في نسق الكلام ونظم الأسلوب لا إلى الصنعة الإعرابية التي تجري بمعزل عن المعنى "[1]،لقد استطاع الجرجاني أن يحدث طفرة في الدراسات البيانية تمهيدا لدراسة القرآن حتى أن الشيخ محمد عبده – صاحب دعوة التجديد في التفسير في العصر الحديث – اعتبره أكثر من تذوق البلاغة وقاربها بعلم النفس مما أتاح لأصحاب المنهج البياني الحديث أن يعتمدوا على كثير من الدراسات النفسية في تحليل النص القرآني تورد بنت الشاطئ شهادة محمد عبده فتقول:"من لم يقرأ من كتب البلاغة إلا مثل السمرقندية وشرحي جوهر الفنون وعقود الجمال فشرحي التخليص للسعد التفتازاني وحواشيها ، لا يرجى أن يتذوق للبلاغة طعما أو يقيم للبيان وزنا ، وإنما يرجى هذا الذوق لمن قرأ "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" ، فإنهما الكتابان اللذان يحيلانك في قوانين البلاغة على وجدانك وما تجد من أثر الكلام في قلبك وجنانك ، فتعلم أن علمي البيان شعبة من علم النفس .. فمعرفة مكان القرآن من البلاغة لا يحكمها من الجهة الفنية والذوقية إلا من أوتي حظا من مختار كلام البلغاء المنظوم والمنثور من مرسل ومسجوع حتى صار ملكة وذوقا واستعان بمثل كتابي عبد القاهر "[2].

بيد أن الجرجاني أوخذ في مباحثه البلاغية كونه قعد للبلاغة ونظر لها مكتفيا من البيان القرآني في سياق الاستشهاد فقط ، ولا يتحرى تناول أبواب البلاغة في النظم القرآني ، وإنما يصرف النظر إلى استقراء كلام العرب وتتبع أشعارهم والنظر فيها " فكيف يهون أن نتناول مباحث البلاغة بمعزل عن القرآن الكريم في كتاب يقدم هذه المباحث – يقصد دلائل الإعجاز –

[1] – الإعجاز البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ص121

[2] – المصدر نفسه، ص132

مدخلا لفهم النظم القرآني ودلائل إعجازه .. على أي حال نرى الجرجاني في – دلائل الإعجاز — قدم ملاحظ دقيقة مما لمحه من أسرار البلاغة و لم يقدم دراسة قرآنية للإعجاز البلاغي "[1].

لقد كان عمل الجرجاني في النهاية تأسيسا للنظر البياني إلى النص وتقعيدا لوسائل هذا النظر ، وتوطئة لدروبه ومسالكه على الرغم من الجهود الشاقة التي كانت تقف في وجهه خصوصا وأن الكلام عن القرآن صعب من جهة التناول ،كونه كلام الله المنزل على نبيه ومن جهة اللغة التي أنزل به فهي لغة العرب لغة البشر،ونعتقد أن الأستاذ مصطفى ناصف كان قريبا من الجرجاني وصعوبة ما كان يواجهه حين قال: " كان عبد القاهر يعلم أن المفسر يعطي النص من ثقافته ،ولكن لا بد أن يأخذ العطاء شكل الكشف، أو أن نشعر بوطأة الكلمات ،كان يشعر رغم كل الجهد المتطاول أن اللغة تناوئ التفسير ،وأن التفسير لا بد أن ينحني في النهاية لهذه اللغة "[2].

وربما سابق لأوانه أن نحكم من خلال هذا البحث المبسط أن الدراسات البيانية انقسمت مع الجرجاني وسلكت اتجاهين : اتجاه سار في تقعيد وتنظير البلاغة ويمثله كما ذكرنا السكاكي في "مفتاح العلوم " ، واتجاه آخر استفاد من نظرية النظم وتبناها ليطبقها على النظم القرآني من خلال منهج بياني في التفسير أعاد البيان الذي بدا محتشما مع مقاتل ابن سليمان وأبو زكريا الفراء والجاحظ،أعاده مجددا إلى التفسير إنه العلامة اللغوي الشهير الزمخشري وتفسيره"الكشاف" ومرحلة جديدة في تأصيل التفسير البياني .

[1] – المصدر نفسه ، ص 124

[2] – اللغة و التفسير و التواصل، مصطفى ناصف، ص75، عالم المعرفة، الكويت 1995 م

2– مرحلة التأصيل:

الزمخشري* (ت538هـــ) من أبرز البيانيين الذين تناولوا النص القرآني تناولا بلاغيا فاق كل الذين سبقوه ، ومهد الطريق للذين جاؤوا بعده " إن تفسير الزمخشري يعد أفضل نموذج للتأويل والاجتهاد والرأي ، وقد فتح الباب أمام ما ظهر في عصرنا الراهن من اتجاه إلى تفسير القرآن تفسيرا بيانيا"[1]، أما تفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" أعظم ما خلفه في هذا المجال يضاف إليه كتابه " أساس البلاغة" وهو معجم في اللغة العربية يبحث على الخصوص في استعمال الألفاظ ومواضعها،على أن تفسيره "الكشاف" أخص من جهة تناوله لتفسير القرآن .كان الزمخشري بارعا في النثر والشعر،درس كتابات الجرجاني "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" حتى تمثلها تمثلا منقطع النظير مما جعله يؤمن بأن المعرفة البلاغية وأنماطها وأساليبها لا تكشف فقط عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن بل تكشف أيضا عن خفايا معانيه وذخائرها المكنونة ، يقول في مقدمة "الكشاف" :" ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت ومستودعات أسرار يدق مسبكها ، علم التفسير الذي لا يقوم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ... إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثه على تتبع

*هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (467 -538 هـــ) كان حنفيا معتزليا مجاهرا باعتزاليته ويقول بخلق القرآن ، إمام عصره في اللغة والنحو ، والبيان ، سمي بجار الله لأنه جاور مكة زمنا ، أصيب في أسفاره ببرد شديد أثر في إحدى رجليه حتى قطعت وأبدلها برجل من خشب ، توفي في جرجانية بخوارزم ، خلف مؤلفات مهمة لها منزلة كبرى في آداب اللغة منها "الكشاف عن حقائق التنزيل" ويعد ثروة هامة في مادة التفسير البياني ،" أساس البلاغة" وهو معجم في اللغة العربية ، يبحث في استعمال الألفاظ ومواضعها من الجمل ،" المفصل في النحو "، "أطواق الذهب " كالمقامات ،طبع في فينا سنة 1835 وترجم إلى الألمانية ،" المستقصي في الأمثال " وهو معجم للأمثال العربية .

[1] – نصوص قرآنية في النفس الإنسانية، عز الدين إسماعيل ص 71، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1975 م

مظانّها همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتغل القريحة وقادها يقضان النفس داركا للمحة وإن لطف شأنها منبها عل الرمزة وإن خفي مكانها " [1].

يعدّ "الكشّاف" نموذجا تطبيقيا واضحا بعد استنفاذ البعد النظّري والتقعيد للبلاغة وبخاصة البلاغة القرآنية ، التي دخلت بعد الجرجاني في التقسيمات المنطقية ، اتجه الزمخشري اتجاها تكامليا بمنهج أدبي خالص مستفيدا من "نظرية النظم" للجرجاني وتطبيقها على التفسير ، في الوقت الذي لوحظ التفسير عند من سبقوه مجزءا مقطعا لا يكاد يتعدى بعض الأمثلة و النماذج القليلة .

وكانت بداية الزمخشري من حيث انتهى سابقوه،فالتفسير البياني عندهم قصد الكشف عن الإعجاز البلاغي والرد عادة على الخصوم والمشككين والطاعنين من الشعوبية والزنادقة كما فعل الجاحظ ، ولما جاء الزمخشري في القرن السادس الهجري أكمل مسيرة الجرجاني ورأى بحنكة الباحث والأديب أن " نظرية النظم تمثل ذروة ما وصلت إليه دراسة البلاغة العربية،ففزع إليها يتخذها سلاحا في تفسير القرآن وبيان وجه الإعجاز فيه"[2]،مركزا منهجه في التفسير على علمي " "المعاني " و " البيان"،واعتبرهما مفاتيح الدلالات ،ووضوح الإشارات في الجمال البلاغي المعجز في القرآن الكريم ،وهذا ما دفع بشوقي ضيف إلى القول أن" الزمخشري أول من ميز بين المصطلحين ، وقسم البلاغة إلى علمين هما المعاني والبيان [3].

---

[1] – مقدمة الكشاف ، الزمخشري ، ج01 ، ص07

[2] – الثرات النقدي والبلاغي عند المعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري ، وليد قصاب ، ص 225 ، نشر وتوزيع دار الثقافة الدوحة 1985 م

[3] – ينظر" البلاغة تطور وتاريخ" ، شوقي ضيف ، ص 221 ، ط11 ، دار المعارف ، مصر

ومن النماذج التطبيقية في تفسيره "الكشّاف" والتي أبانت بوضوح على "علم المعاني" والذائقة الأدبية الرائعة فيها ،مما يوحي بمدى معايشة الزمخشري للنص القرآني بفكره وقلبه ووجدانه كاشفا عن عمق المعنى ،وقوفه أمام قوله تعالى { أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ }[1] يقول في قوله تعالى : { لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي } : " لايخلو إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحي ، فالإلجاء خارج عن الحكمة ، و لم يكن من أهل الإلطاف فيلطف به ، وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض و لم يتبعه حتى يهتدي ، وإنما يقول هذا تحيرا في أمره ، وتعللا بما لا يجدي عليه ، كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ، وقوله تعالى{ بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي } رد من الله عليه معناه : بلى قد هديت بالوحي ، فكذبت به ، واستكبرت عن قبوله ، وآثرت الكفر عن الإيمان ، والضلالة عن الهدى ... – وبين الزمخشري لماذا تأخر جواب القرينة الثانية { بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي } جواب لقوله { أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } – فإن قلت : هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله { لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي } و لم يفصل بينهما بآية . قلت لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن ، وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن ، وأما الثاني فلما فيه من نقص الترتيب وهو التحسر على التفريط من الطاعة ، ثم التعلل بفقد الهداية

[1] – سورة الزمر الآية 56- 59

ثم تمنى الرجعة ، فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب"[1] .

كما وجد الزمخشري في "المجاز "حرية واسعة ، لمعالجة كثير من الآيات التي كانت محل جدال واسع عند الفرق الإسلامية ، ودليلا طعم به "اعتزاليته " في نفي التجسيم –مثلا– فوظف بأسلوب بارع مفهوم التخييل*البياني لكي يؤول عن طريقه قوله تعالى " يد الله فوق أيديهم "يريد أن يد الله هي يد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم التي تعلو أيدي المبايعين ، والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام ، وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله ، وقد اضطره إلى هذا التأويل البياني ما يأخذ نفسه به من مبدأ التنزيه عند المعتزلة "[2]، ومن الآيات القرآنية التي وظف فيها المجاز كوسيلة بيانية رائعة ، قوله تعالى " وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء "[3] ، فمعنى قول اليهود " يد الله مغلولة " وصفه بالبخل ، وقوله " بل يداه مبسوطتان " تعبير مجازي "يدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه ، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطي بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك "[4] ، قد نكتفي بهذا اليسير من فكر الزمخشري في التفسير البياني ، ويبقى في الأخير القول أنه أخذ على الزمخشري دفاعه المستميت على أصول الاعتزال ، هذا من جهة الاتجاه الفكري ، أما

---

[1] – الكشاف ، الزمخشري ، ج03 ، ص 404-405

*التخييل في مصطلح الدراسات الإسلامية ولغة القرآن يعني التشخيص وهو عند سيد قطب خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية فتصبح حياة إنسانية لها عواطف آدمية كقوله تعالى في الصبح " والصبح إذا تنفس" فهنا تشخيص للصبح وكأنه كائن حي

[2] – نصوص قرآنية في النفس الإنسانية، عز الدين إسماعيل ص 70-71

[3] – سورة المائدة الآية 64

[4] – الكشاف ، الزمخشري ، ج01 ، ص 220

عن البيان القرآني وإعجازه فقد كان الزمخشري " يساير ما اتسم به البحث البلاغي على مدى العصور ، وهو النظرة الجزئية إلى العبارة في النص الأدبي ، لا تعدوه إلى العمل الأدبي كله .."[1]

وهذا هو عينه ما تعمل المدرسة المتجددة للتفسير البياني تكريسه وفق المدارس الغربية الحديثة .

[1] – منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، مصطفى الصاوي الجويني ، ص 300 ، ط 03 ، دار المعارف ، مصر

المبحث الثالث : التجديد في البلاغة والتفسير

كان لتعيين أمين الخولي(1895-1966م) أستاذا للدراسات القرآنية والبلاغية والنقدية في كلية الآداب في الجامعة المصرية في أواخر الربع الأول من القرن العشرين ، أثره العظيم في إرساء مفاهيم جديدة في مناهج التدريس ونقد المناهج التقليدية التي كانت سائدة وبالأخص في الكليات الدينية ، وبنقل الدراسات الإسلامية ومنها مادتي "تاريخ القرآن " و" التفسير " إلى المقررات الدراسية في الجامعة ، بدأت حياة قرآنية جديدة في الجامعة لم تعهدها من قبل " كانت دراسة التفسير وقفا على البيئات التي أخلصت نفسها للدراسة الدينية كالأزهر أو التي منها بسبب كمدرسة القضاء الشرعي أو دار العلوم ، فلما أنشئت الجامعة المصرية القديمة اتجهت هي الأخرى إلى دراسة التفسير،وقد أحيت بذلك المنهج اللغوي أو الأدبي في فهم النص القرآني،وتفسيره بعيدا عن الدينيات ومشكلاتها وما تأثرت به من الفلسفة والمنطق"[1].

وبتعيين الخولي أستاذا للبلاغة وضع خطة لتطويرها ومنهجا في تجديد معالمها ،وهو بذلك يمهد السبيل إلى فكرة التجديد في التفسير،لما بين التفسير الأدبي والبلاغة من وثيق علاقة أثمرت بحسب هذه المدرسة على منهج عرف بالمنهج البياني في التفسير، طبقته بنت الشاطئ أحسن تطبيق حتى عاد الحديث عنها لا ينفصل ولا يستقم إلا بالمرور على أستاذها الخولي [2].

والجامعة المصرية في أول نشأتها كانت في حاجة إلى درس الأدب و تاريخه باعتباره من أهم خصوصيات الأمة العربية التي تتيح للباحث أن يفهمها من خلال أدبها العربي الراقي وتاريخه وكان

[1] – دراسات في القرآن ، أحمد خليل ، ص 147

[2] – ينظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني "خصائص المنهج البياني"

لزاما المرور على القرآن وتاريخه وتفسيره بما هو مادة لذلك التاريخ الأدبي الواسع وحلقة هامة فيه " الحياة الأدبية الجامعية خصبة متجددة ، متطلعة ، مستشرفة ، فاتبعت وراء ما استشرف إليه المفسرون من حس العربية وذوقها ، وبلاغة هذا الأسلوب ما وراء ذلك وأبعد على أن يكون لهذا التطلع ضابط من طبيعة اللغة وحيويتها فراجت الجامعة تحول التفسير درسا أدبيا محضا ، ويستعين بكل ما بلغته وستبلغه الإنسانية الفنية من دقة وتطلع "[1].

وتلخص منهج الخولي في جملة ما كتبه في "تاريخ القرآن " وهي مجموعة محاضرات لم تنشر وبحثه الشائق " التفسير " وهو تقديم لتاريخ التفسير ومنهجه في دائرة المعارف الإسلامية [2]ثم طوره فيما إلى كتاب مثّل فعلا عصارة منهجه في التجديد " مناهج تجديد في النحو والبلاغة و التفسير والأدب "[3]،غايته فيه دراسة القرآن العظيم من خلال "حياة الألفاظ القرآنية وتدرج دلالتها وتاريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، وكانت البلاغة القرآنية في مطابقة الكلام لمقتضى الحال أساس الدرس التفسيري مضافا إليها الغرض الديني والبعد العقائدي "[4].

التجديد البلاغي إذن كان أولى ملامح التجديد في التفسير البياني حسب الخولي فكيف هي رؤيته إلى البلاغة وما يجب على الناقد البلاغي أن يدركه حيالها حتى يتسنى له النظر فيما يجب أن يضيفه أو يحييه فيها ؟.

---

[1] – أمين الخولي سلسلة أعلام العرب ، كامل سعفان ، ص113 ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1982م

[2] – دائرة المعارف الإسلامية ، أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم من أمثال ليفي بروفنسال ، وهارتمان وشاخت وأشرف على تحريرها الإتحاد الدولي للمجامع العلمية ، والنسخة العربية أعدها وحررها كل من الأساتذة : إبراهيم زكي خور رشيد ، أحمد الشنتناوي ، وتقديم الأستاذ الخولي لمادة التفسير في المجلد التاسع من ص 409 الى ص 436 ،دار الشعب ، القاهرة مصر بدون سنة

[3] – مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي ،دار المعرفة ، ط 01 ، القاهرة 1961م

[4] –المصدر نفسه ص 293

يقول أمين الخولي في كتابه "مناهج و تجديد" تحت عنوان " في البلاغة":"كانت محاولتي الأولى في سبيل البلاغة هي تحقيق فنية البلاغة ،والانتهاء بها إلى أن تكون فن القول الذي يقوم إلى جانب الفنون الأخرى من سمعية وبصرية ، فلما تمت الفنية البلاغية واستقر أمرها ،كان الانتقال إلى ما يليها من محاولة في سبيل تأصيل هذه الفنية ،ووصلها بما يجدي عليها من المعارف الإنسانية في الحياة الحاضرة الناهضة الراقية ،ويبدأ النظر في ذلك الفهم الصحيح لحقيقة الفن ليعرف ما يتصل به الثقافة الإنسانية . و الفن -كما تعرف – هو الترجمة والتعبير عن الإحساس بالجمال والجميل والمعرفة الصحيحة لهما أول ما يفيد هذا الفن... ثم ضبط الإحساس بالجمال ،والتنبه الدقيق لهذا الإحساس ،والخبرة بالنفس البشرية التي يصدر عنها ذلك الإحساس هو خير ما تقوم عليه دراسة فنية في حقيقتها وجوهرها ،ومن هنا تبينت حاجة تلم البلاغة إلى لون من الدراسة الفنية المعتمدة على دراسات الجمال "[1].

على هذا النحو يكشف الخولي عن وظيفة البلاغة التي أخرجها من ضيق الشكل ومحدودياته لتستوعب التكوين الجمالي في العمل الأدبي فيما يمثله من علاقته بالإنسان والحياة ، فعندما تبحث البلاغة في كيفية تعبير القول عن الإحساس بالجمال ، فهي تتولى ذلك من منطلق يرى النشاط الوجداني لا ينفصل عن مظاهر الشعور الأخرى ،ليبقى الدارس المتذوق يعايش النص المطلوب تحليله معايشة تخترق العالم الوجدانى أو تقترب منه ، ويبقى طول معايشته للنص لا ينفصل عنه، ومتفطن إلى ما يمكن أن يطبع النص من تغيير الإحساس أو تطور في حالاته تبعا لموضوعاته ، وهذه المهمة تبدو شاقة ولكنها – حسب الخولي- وحدها الكفيلة إلى تذوق النص

[1] – مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي ، ص324

مستعينة بالعلوم الحديثة على أدائها كما تفعل الدراسات النفسية والجمالية اليوم ، على أن لا نغفل ونحن نحلل فنية البلاغة كما يراها الخولي أنها مقدمة إلى هدف أساسي هو الوصول إلى منهجية جديدة لتفسير القرآن الكريم .

لم تكن كتابات الخولي أبحاثا بلاغية بالمعنى الشائع ، أي لم يعن بتناول مشكلات البلاغة تناولا مفصلا ، ولم يخض في مسائلها الجزئية خوضا علميا ، لقد كان مشدودا إلى الأهداف الخطيرة التي رسمها لنفسه ، إذ كان يرى أن الوعي بالأصول والأسس أولى من الفروع خصوصا إذا ربطنا مرحلة الخولي التاريخية بما كان شائعا آنذاك من أفكار التجديد لرواد النهضة الأدبية الحديثة، وهو واحد منهم إن لم نقل أولهم . كان رواد النهضة الأدبية مشغولون بكبريات الأمور ، من ذلك النهوض بالإنسان، فرأوا أن البلاغة ومنها الأدب ينبغي أن تعبر عن إرادة الحياة ، ومحاولة الخولي أن يجعل الدرس البلاغي في خدمة الإنسان بواسطة تنمية شعوره بالجمال المتره عن المنابع المادية، واحدة من أهم هذه الإشغالات يضاف إليها وظيفة الأدب عموما في التعبير عن الوجدان والمشاعر والقيم المتسامية .

إن تبلور تصور جديد للأدب في أوائل هذا القرن، كان دافعا لتجديد البلاغة وجعلها درسا يستمد منهجه من الطبيعة المخصوصة للأدب؛ أي ضرورة النظر إليه باعتباره نشاطا وجدانيا يعبر عن الذوق والشعور. لقد بذل الخولي ما في وسعه لتخلية الدرس البلاغي من وسائل ما أسماه بـــ"المنهج العلمي النظري" كالعناية بالتعريف والتحديد والقاعدة والجدل والمنطق. لقد دخلت هذه الوسائل دائرة البلاغة الأدبية مما أدى إلى اضطراب المنهج واختلاطه، وأصبح الدرس البلاغي بأبحاثه المقحمة لا يستجيب لروح الأدب، أو إن شئنا قلنا إن البلاغة كانت تتوخى الوظيفة

التعليمية أكثر مما تتوخى الوظيفة الجمالية في تناولها للأدب. على هذا النحو تراجعت مكانة الأدب في عالم البلاغة الواسع ، وضاع المنهج الأدبي في خضم تداخله بالمناهج الكلامية والأصولية والنحوية والمنطقية. وكان من نتائج ذلك غياب منهج يلائم طبيعة الأدب ويخلص للحكم الجمالي بدل الأحكام العقلية والعلمية. " إن البلاغة العربية حينما جعلت درسا تعليميا يمارس ويزاول بطرق مدرسية منظمة، كانت ظروفه تقضي عليه بإيثار منهج تعليمي وأسلوب بحث مدرسي له صفة واضحة معينة، هي الاتجاه إلى الناحية النظرية التعليمية التي تعتمد على الضبط العقلي، والقواعد المطردة، والحدود الضابطة وما إلى ذلك، الأمر الذي يحقق الغرض العام التهذيبي المحض، ولا يتحقق معه في سهولة كثير من الغرض الأدبي العلمي الذي يراد من تعلم اللغة، ومعرفة أدبها وفنها القولي، فالحالة الاجتماعية كانت تدفع إلى هذا المنهج، أو لا أقل من أنها ترجحه"[1].

يرى الخولي أن البلاغة هي الدرس الموضوعي الوحيد في الأدب، ومعنى ذلك أنها العلم الذي يجعل ما يصطلح عليه اليوم بـــ"الأدبية"، موضوعا لدراسته. وأما علوم الأدب الأخرى، فإنها تعنى بدرس ما حول الأدب، أي الجوانب المتعلقة بالوظيفة الأدبية. ولأجل ذلك عمل على تحلية الدرس البلاغي ووصله بميادين تعمق فلسفته وتجدد أدواته، مثال ذلك الفنون ومذاهبها والدراسات النفسية والجمالية. لم يكن الشيخ يؤمن باستقلال الوظيفة الأدبية عن قيم الحياة، و لم ينظر إلى المتعة الفنية نظرة شكلية خالصة، ولكنه كان يؤمن بأن للأدب حقائق ينبغي الاهتداء إليها وأكبر تلك الحقائق ما ارتبط بالحياة ، وليس غير الحياة يعطي الدلالة الحقيقية لوظيفة الأدب فكل " أدب في

[1] – فن القول ، أمين الخولي ، ص70 ، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر 1947م

أي أمة من الأمم ،إنما هو يصور نوعا من أنواع حياتها ، ولونا من ألوان شعورها وذوقها وتفكيرها وانعكاس صور الحياة في نفوسها "[1].

كانت دعوته تقارب دعوة الرواد في النظر إلى الأدب وكأنه صورة الحياة وليس صناعة عقلية أو نظما وهياكل ، وعمل البلاغي من ذلك يتجاوز القواعد والحدود والوصف الشكلي إلى استجلاء قيم الحياة في الأساليب وتفسير الإحساس الجمالي باعتباره قيمة إنسانية رفيعة.

ونتيجة الجهد المتواصل للأستاذ أمين الخولي في تجديد البلاغة ، فتح المجال بعدها لدراسة القرآن الكريم في مختلف شؤونه الجمالية بإدخاله موضوعا بلاغيا وتفسيريا في الدراسات العليا بجامعة القاهرة ،ليخضعه للمنهجيات السائدة في دراسة النصوص الأدبية معتبرا " أن العربي القح ، أو من ربطته العربية بتلك الروابط يقرأ هذا الكتاب الجليل ، ويدرسه درسا أدبيا ، كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة ، وتلك الدراسة الأدبية لها أثر عظيم وهذا ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا وفاء بحق هذا الكتاب ، ولو لم يقصدوا الاهتداء به .. فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس سواء نظر إليه الناظر على أنه كذلك للدين أم لا "[2].

والتفسير الأدبي عند الخولي يشمل على موضوعين – وزعتهما بنت الشاطئ إلى خصائص في مقدمة كتابها "التفسير البياني" ، وقمنا في الفصل الثاني من هذا البحث بدراسة تفصيلية لهذه الخصائص- أما الموضوع الأول فهو دراسة ما حول النص القرآني ترتكز على دراسة البيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن وعاش ، وفيها جمع وكتب وقرئ " فروح القرآن عربية ومزاجه

[1] – خصام ونقد ، طه حسين ، ص 45 ، ط 12 ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان 1985 م

[2] – مناهج تجديد ، أمين الخولي ، ص322

عربي وأسلوبه عربي ، وقرآنا غير ذي عوج ، ولهذا فالنفاذ إلى مقاصده إنما يكون على التمثل الكامل والاستشفاف التام لهذه الروح العربية وهذا المزاج العربي والذوق العربي .. ، ولهذا يصبح كل ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية العربية وسائل ضرورية لفهم القرآن من ماض سحيق وتاريخ معروف ونظام الأسرة والقبيلة ، فمل ما تقوم به الحياة الإنسانية لهذه العروبة وسائل ضرورية لفهم القرآن العربي المبين " [1]، ومن هنا نلحظ أن الدراسة حول القرآن تتجه إلى دراسة أثر البيئة والزمن وتشكيل المجتمع في فهم القرآن ودلالاته يعني فهم الواقع المحيط حتى نفهم القرآن ، ففهمهم الزمني هنا ضروري من أجل تقديم فهم لمفردات القرآن المطلقة ، أما الموضوع الثاني وهو دراسة القرآن نفسه وهي تبدأ بالنظر إلى المفردات ،والأديب الناقد يجب أن يقدر عند ذلك تدرج الألفاظ. وتأثيرها في هذا التدرج يتفاوت بين الأجيال ، وبفعل الظواهر النفسية والاجتماعية ، وعوامل حضارة الأمة ، وما إلى ذلك مما تعرضت معه ألفاظ العربية من تلك الحركات الجياشة المتطورة التي نمت بها الدولة الإسلامية، والنهضة الدينية ، والسياسية ، والثقافية مما انعكس على حياة الألفاظ العربية "حتى أصبح من الخطأ البين أن يعمد متأدب إلى فهم ألفاظ النص القرآني الجليل فهما لا يقوم على تقدير تام لهذا التدرج والتغير الذي مس حياة الألفاظ ودلالتها "[2].

بهذه الرؤية المتجددة لأمين الخولي سارت مدرسته تنبع من القرآن الكريم تتناوله بحثا ودراسة ، ووقف هو يوجه ويشرف على تلامذته ، فكانت عشرات الرسائل تتناول مجاز القرآن ، وقصص القرآن ومجموعة الصور الفنية في جمالياته بالإضافة إلى التفسير وعلوم القرآن ، والأدب

[1] – دائرة المعارف، مادة " تفسير" ، أمين الخولي ، ص 434

[2] – مناهج وتجديد ، أمين الخولي ، ص 37

وتخرج على يديه نخبة من تلامذته غدوا قمة من قمم الأدب والنقد والدراسات الإسلامية نذكر على سبيل المثال : الأستاذ محمد احمد خلف الله وكتابه " الفن القصصي في القرآن الكريم "[1] وكان رسالة جامعية للحصول على درجة الدكتوراة ، وأستاذ التذوق البلاغي مصطفى ناصف وكتاباه" نظرية المعنى في النقد العربي[2] " و "الصورة الأدبية "[3] والدكتور عز الدين اسماعيل وكتاباه " الأسس الجمالية في النقد العربي "[4] و "التفسير النفسي للأدب "[5] وأستاذ علم الأسلوبية الدكتور شكري عيّاد وكتابه أرسطو طاليس في الشعر وأثره في البلاغة العربية "[6] وكانت رسالة دكتوراه هامة أشرف عليها الخولي بنفسه ، وكتابه " مدخل إلى علم الأسلوب "[7] ، على أن أكثر التلاميذ تأثرا و ملازمة للأستاذ الخولي وأكثر وفاء لمنهجه ، وخصوصا منهج التفسير الأدبي للنص القرآني ،كانت الدكتورة بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن.

[1] – نوقشت في جامعة القاهرة ورفضت سنة 1948 م بسبب آراء صاحبها حول القصص القرآني ، منها نفيه لنبوة آدم ، و اعتباره القصص في القرآن ليست حقائق وإنما مجرد تمثيل

[2] – الطبعة الثانية سنة 1981 م ، دار الأندلس للطباعة ، بيروت ، لبنان

[3] – الطبعة الأولى سنة 1958 م ، دار مصر للطباعة ، القاهرة

[4] – الطبعة الأولى سنة 1955 م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر

[5] – الطبعة الأولى سنة 1963 م ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر

[6] – الطبعة الأولى سنة 1976 م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر

[7] – الطبعة الأولى سنة 1982 م ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض العربية السعودية

المبحث الرابع :البلاغة وإشكالية التعقيد

إذا كانت البلاغة العربية في مراحلها الأخيرة قد وصفت بالجفاف والجمود ، ووصفت مناهج علمائها بالتكرار والتعقيد ، فذلك له مبرراته في هذا المبحث الذي نريد من خلاله استجلاء تلك العوامل الفاعلة حقا في تدهور البلاغة وانسداد آفاقها ، لا لأننا نريد أن نؤرخ لتطور البلاغة ولكن طبيعة البحث اقتضت المرور على ذلك ،باعتبار أن فكرة التجديد في التفسير البياني طالت البلاغة والقول فيها لما بين البيان والبلاغة من وثيق الصلة كما أشرنا ، بل إن الصلة التي نرومها دوما ونحن نسير في البحث لا تخرج عن الإشكال المطروح منذ القدم وإلى اليوم ،كيف جرّ البيان إلى قواعد البلاغة وعدّ فرعا منها "علم البيان" ، على أن البيان كان قبل أن تقعّد للبلاغة قوانينها المنطقية وتسير على النحو الذي هي عليه ؟

لم يكن التعقيد والغموض اللذان علقا بالبلاغة العربية وليدة اليوم أو حديث النقاد في العصر الحديث ، لقد أشار بعض البلاغيين قديما إلى ذلك بعد عبد القاهر الجرجاني ، فقد ذكر القزويني(739 هـــ) في مقدمة التلخيص " أن "مفتاح العلوم" للسكاكي أعظم ما صنف في علم البلاغة،ولكنه غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد"[1]كما رأى ابن الزملكاني(651 هـــ) أن " علم البيان من أجل العلوم وأفضلها قدرا ، ولكنه لغموضه ودقة رموزه استولت عليه يد النسيان وألحقه القصور بخبر كان ، وليس فيه من المصنفات إلا القليل "[2]، وقال العلوي(ت 749 هـــ)

[1] – التلخيص في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن الخطيب ، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي ، ص 21 ، دار الفكر العربي

[2] – التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن ، عبد الواحد ابن عبد الكريم ابن الزملكاني ، تحقيق أبو القاسم عبد العظيم ص26، ط01 ، المطبعة السلفية ، بنارس ، الهند 1987 م

في الطراز " أن مباحث هذا العلم – البلاغة – في غاية الدقة ، وأسراره في نهاية الغموض ، فهو أحوج العلوم إلى الإيضاح والبيان "[1].

فهذه بعض الإشارات لبلاغيين مشهورين في قضية الغموض،مما يعني أن القضية قديمة وليست وليدة الدراسات الحديثة ، بالإضافة إلى توجه هؤلاء البلاغيين إلى التصنيف والتأليف في هذا العلم لتوضيحه وتبسيطه و ما عناوين مؤلفاتهم إلا دليلا على ما كانوا يحملونه من هم للبلاغة وما آلت إليه . فإذا سلمنا بهذا التعقيد ، فما هي أسبابه وتداعيه على علم من أعرق علوم العربية أصالة ؟.

1- نشأة البلاغة في بيئة المتكلمين :كانت بيئة المتكلمين والأصوليين هي البيئة التي نشأت فيها البلاغة وازدهرت ، ولا تفتح تاريخا لأي من البلاغيين الكبار إلا وله ارتباط وثيق أو صلة ما بعلم الكلام أو علم الأصول "والجمهور الغالب منهم – فيما يبدو – كان على صلة واطلاع على الفلسفة والمنطق ، سواء أكانت الفلسفة العامة أم الفلسفة الكلامية ، ويتفق ذلك في أدوار حياة البلاغة نشأة وتطورا وجمودا "[2] ، فالجاحظ كان معتزلي ومتطلع على كتب فلاسفة اليونان وعبد القاهر الجرجاني متكلم أشعري ، الفخر الرازي حجة عصره في الأصول وعلم الكلام ، وذكر الأستاذ أحمد مطلوب أن " البيان نبت في جحور المتكلمين، وقد كان نشاطهم واسعا، وكان أهم أثر كبير في الحياة العقلية بعامة وفي البلاغة بخاصة "[3].

---

[1] – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيي بن حمزة العلوي ، ص06 ج 01 ، الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1983 م

[2] – مناهج تجديد ، أمين الخولي ، ص 129

[3] – مناهج بلاغية ، أحمد مطلوب ، ط 01 ، ص 255 ، وكالة المطبوعات الجامعية ، الكويت 1973 م

2 – تأثير الفلسفة في البلاغة العربية : كان الأستاذ طه حسين أول من قرر أن البلاغيين وفي مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني، تأثروا بالفلسفة اليونانية في مقدمته لكتاب " نقد النثر"[1]،إذ تسربت كثير من المسائل الفلسفية المعروفة عند فيلسوف اليونان أرسطو إلى البلاغة العربية والتي شملت المنهج والموضوعات على حد سواء ، مما أدى إلى إبعاد علم البلاغة عن موطنه الأصلي الأدب . "لم يكن عبد القاهر الجرجاني عندما وضع في القرن الخامس كتاب "أسرار البلاغة" المعتبر غرة كتب البيان العربي إلاّ فيلسوفًا يجيدُ شرح أرسطو والتعليق عليه، وإنا لنجد في كتابه المذكور جراثيم الطريقة التقريرية التي أودت بالبيان العربي في القرن السادس ...ولا يسع من يقرأ دلائل الإعجاز إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق خصب في التأليف بين قواعد النحو العربي، وبين ما لأرسطو في الجملة والأسلوب والفصل من الآراء العامة، وقد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقا يدعو إلى الإعجاب" [2] ، ثم جاء الأستاذ الخولي وتوسع في الاستدلال على هذه القضية – قضية تأثير الفلسفة في ظهور البلاغة – بآراء المتقدمين وخلص إلى " أن الشعور بتأثير خطابة أرسطو وشعره ، أو تأثير الفلسفة عامة شعور قديم ، لم يقف عند حد البلاغة وحدها ولكن تجاوز ذلك إلى الشعر والكتابة ذاتهما "[3] وقد شن هؤلاء النقاد والمفكرين حملة شرسة على عبد القاهر الجرجاني باعتباره مؤسس البلاغة العربية الأولى وحملوه مسؤولية التحول بها من المجال الأدبي إلى التعقيد الفلسفي فمن طه حسين إلى الخولي " هذه القضية التي يبدئ فيها عبد القاهر ويعيد في (دلائل الإعجاز) .. هذه القضية في النظم – على ما يرجح عندي – قضية كلامية

[1] – أشرنا إلى الكتاب في هامش صفحة 15

[2] – البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر ، طه حسين ، ص 14 و ما بعدها

[3] – ينظر تفصيل ذلك "مناهج تجديد" ، أمين الخولي ، ص 155 إلى 157

مسالك الرأي فيها أن تكون في كتب الكلام ومذاهب المتكلمين ، حتى ليتوقف فهمها فهما جليا أو قريبا من الجلي على الرجوع إلى أقوال المتكلمين ودوافع التأثير المسلطة عليهم في القول بها أو الاتجاه إليها "[1] إلى شوقي ضيف " أبحاث عبد القاهر الجرجاني في كل هذه الأبواب حين تصفيها من عباراته المنمقة وحماسته البالغة لنظريته لا تجد فيها إلا النحو المعقد المتفلسف الذي يحمل اللغة ما لا تطيق ، والذي يستحيل إلى ضرب من التجارب العقلية ، والتأويلات الفلسفية لأساليب العربية "[2] إن هذه الحملة على الجرجاني والبلاغة العربية القديمة هي التي دفعت بهم إلى الدعوة للتجديد وكان الخولي أبرز هؤلاء كما ذكرنا في المبحث السابق ، و من الإنصاف أن نذكر بعض الآراء الوسط في هذه القضية والتي ترى أن التأثير الفلسفي على البلاغة فعلا موجودا لكن له مبرراته من خلال الواقع الفكري والثقافي للمجتمع العربي آنذاك والذي كان متأثرا بالثقافات الدخيلة عليه وهذا طبيعي في أي حركة حضارية لأي مجتمع " فمهما قيل في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، فإنه أثرت في البلاغة العربية وفي كتبها أمثلة من ذلك التأثير ، ولن نذهب مذهب المنكرين ولا مذهب المتطرفين ، وإنما نقول إن الحياة الجديدة التي عاشها العرب في العصر العباسي كانت زاخرة بثقافات مختلفة ولا بد أن تؤثر هذه الثقافات فيما أنتجوه"[3]

إن المتتبع لجملة الآراء التي تناولت تأثير الفلسفة والمنطق في البلاغة العربية يحكم بصحة هذا التأثير إن كان قويا أو ضعيفا ، ولكن المسألة في كل هذا هل استطاعت البلاغة العربية أن تخدم البيان القرآني بصورته الأدبية والفنية وهي تعتمد قواعد فلسفية ومنطقية ؟ هل التفسير البياني

---

[1] – فن القول ، أمين الخولي ، ص 98

[2] –البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ص 167-181

[3] –مصطلحات بلاغية ، أحمد مطلوب ، ص 243

للقرآن الكريم وهو مدار البلاغة كلها استطاع أن يحقق أهداف الإعجاز القرآني أم أن البحث البلاغي كما تقول بنت الشاطئ " استقل بعيدا عن قضية الإعجاز .. وأصبحت البلاغة في مفتاح العلوم للسكاكي علما يحصل وصنعة تضبط بقواعد منطقية " [1] ؟

3 – البلاغة وقضية الإعجاز القرآني : ارتباط البلاغة بقضية إعجاز القرآن الكريم أمر بين وجلي و بنظرة خاطفة لبعض عناوين كتب البلاغيين كافيا لاستجلاء هذه القضية ، فـــ " دلائل الإعجاز " للجرجاني و " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " للرازي و " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " للعلوي و " التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن " لابن الزملكاني وغيرها من الكتب البلاغية المعتبرة والأساسية والتي كان غايتها الوصول إلى إعجاز القرآن الكريم كلها أفردت بابا لدراسة الإعجاز ، حتى أنه عيب على السكاكي مثلا وابن الأثير لأنهما لم يفردا بابا في كتبهم لهذا الموضوع وهما أصحاب هذه الصنعة .

وقضية الإعجاز التي كانت في أول التنزيل ، تفهم بداهة وتدرك بالفطرة اللغوية أو بالسليقة ،غدت فيما بعد وفي العصور المتأخرة وخصوصا العصر العباسي ، مسألة فكرية ، يعتمد فيها الإستدلال المنطقي ، فيما فقد العرب تلك الفطرة وتلك السليقة "في القرن الثالث للهجرة كانت البيئة الإسلامية تموج بأقوال في الإعجاز أخذت وضعا حادا في صراع الفرق الإسلامية فانتصر أعلام كل فرقة لرأيهم فيه وتصدوا لنقض آراء مخالفيهم ،ولم تنفرد قضية الإعجاز في أول الأمر بالبحث والنظر، وإنما عولجت مع غيرها من القضايا التي نشط فيها الكلام وتجادلت الفرق وبخاصة تلك التي تتصل بالنبوة والمعجزة كالذي في " تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة و" مقالات

[1] – الإعجاز البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ص 129

الإسلاميين " لأبي الحسن الأشعري و "حجج النبوة " للجاحظ " [1] ،ففي بيئة المتكلمين كثرت المجادلات بشأن الإعجاز وبخاصة عند المعتزلة وغيرهم من أصحاب المذاهب الكلامية ، وغدت البلاغة وسيلة من وسائل الاحتجاج التي يعلل بها الإعجاز ويرد بها على الخصوم ، وفي الوقت الذي أفرزت "البلاغة القرآنية " دراسات ومباحث عظيمة في تقريب الفهم لإعجاز القرآن ومحاولة تعليله لغويا وبلاغيا كما عند الجرجاني والزمخشري ، أفرزت في الوقت نفسه غموضا وصعوبة في تناول علم البلاغة بسبب الاهتمام المفرط بمجادلة الخصوم ومحاولة اقناعهم ، و الحملة على الجرجاني مردها إلى هذا الجانب أيضا " فأسلوب الجرجاني الجاف الذي يميل إلى التعقيد أحيانا كثيرة في كتابه " دلائل الإعجاز "، مرده اهتمامه بنقض آراء القاضي عبد الجبار وطائفة من المعتزلة في مسألة اللفظ "[2]، فقضية الإعجاز أثرت تأثيرا واضحا في توجيه التأليف في البلاغة ما جعل التعقيد يلاحظ في مسائلها وقضاياها ،ويذهب أمين الخولي إلى " أن بحث المتكلمين في الإعجاز وما إليه ، وتعليلهم ذلك ، واحتجاجهم لآرائهم فيه ، قد جعل مفاتيح الفهم لمسائل أدبية بلاغية وغيرها ، في يد هؤلاء المتكلمين "[3].

4- **علماء البلاغة من غير العرب** : لعل المتتبع للأعلام البلاغيين أنهم في الغالب الأعم ليسوا من العرب،بل إن العلماء في التاريخ الإسلامي أغلبهم من الأعاجم ، ولكن لماذا أثرنا هذه الملاحظة ؟ أولا لا يفهم هنا التفرقة العنصرية كتلك التي خاضها القدامى فيما يعرف بالشعوبية والعروبية ولكن مجال الدراسة النقدية اقتضت الوقوف على هذا الجانب من مشكلة التعقيد التي لحقت

[1]- الإعجاز البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ص 19

[2] - مقدمة "دلائل الاعجاز " ، تحقيق محمود شاكر، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1989 م

[3]- فن القول ، أمين الخولي ، ص 98-99

بالبلاغة العربية ،فضلا عن مجالات الفكر الإسلامي الأخرى . وفسرابن خلدون ظاهرة الأعاجم الأعلام تفسيرا حضاريا قال " إنهم أهل حضارة مقارنة بالعرب ، ولأنهم احتاجوا بعد فساد اللسان إلى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت إلى علوم أخرى ، وهي الوسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد الإيمانية بالأدلة لكثرة البدع والإلحاد "[1]، على أن تفسيرنا للظاهرة نراها من جهة اللسان العربي الذي فقد مع توسع الدولة الإسلامية رونقه البياني وابتعدت بذلك الفصحى عن بيئتها الأولى ،و تعرضت إلى شوائب العجمة واختلاط الألسن ،و لم يمنع وجود هؤلاء الأعلام الكبار من الذين صح لهم علم اللغة العربية ، لغة القرآن وفاتهم ذوقها النقي وبيانها الأصيل يقول الخولي " إذا كانت عجمة مع فلسفة فقد كمل البعد عن مجالي الفن وروحه بقدر البعد عن حس العربية وتمثل روحها وإدراك مجال الجمال فيها "[2] ،ولربما كان لظاهرة العجمة واختلاط اللسان العربي جهود معتبرة للعلماء في البحث عن اللفظ العربي الأصيل وحمايته فقد "اتجهت الجهود إلى جمع تراث الفصحى الأصيل وتدوينه وعكف عليه العلماء من القرن الثاني للهجرة ، يستخلصون منه للفصحى معجم ألفاظها ، ويستنبطون بالاستقراء والقياس قواعد نحوها وتصرفها واشتقاقها وخصائص أساليبها في التعبير والبيان "[3] ،وعلى الرغم من الجهود تلك ولكنها كانت محدودة ، و موجهة فقط لتتبع اللفظ ودلالته كما هو شأن المعاجم العربية ، أما البلاغة

[1] – المقدمة ، ابن خلدون ، ط01 ، ص 443 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان 1997 م

[2] – مناهج تجديد ، أمين الخولي ، ص 130

[3] – لغتنا والحياة ، بنت الشاطئ ،ط01 ، ص 53 ، دار المعارف ، القاهرة 1969 م

وبسبب ارتباطها بالفلسفة وعلم الكلام ،وتقنين الخطاب العربي ووضع الحدود والمصطلحات تأثرت بالعقل والاستدلال المنطقي مما أثر في الأسلوب والأداء .

5- **تراجع الأدب العربي** : لاحظ النقاد ودارسوا الأدب أن الأدب العربي شهد تراجعا واضحا في العصور التي تلت القرن الخامس الهجري ، لانشغال الدارسين بالبلاغة وشواهدها القديمة دون أن تضاف إليها من أدب بيئتهم ما يجدد في جوهرها وآدائها ، وهذا يبدو طبيعيا في عصر كان قد تم فيه التدوين واستقر ونشط فن الترجمة ، في حين تراجع الأدب أو لم يواكب الحركة نفسها . يضاف إلى أن الدراسات الإسلامية انتعشت في هذا العصر وكانت الشغل الشاغل للعلماء كالتنظير لعلمي الأصول والحديث وعلم الكلام كلها أزاحت الأدب عن طريق الحركة والتطور ونعتقد أن البلاغة العربية عندما نظمت في قوالب تعليمية وأسلوب مدرسي بحث – كشأن العلوم التي سبق وأن ذكرناها – فقدت المرونة التي غالبا ما تطبع الأدب الذي يتحرك دوما مع الحياة الإجتماعية والسياسية ويتمرد على القيود ، فالفن لا يخضع لمقاييس العلم ، والبلاغة فن خرج من الأدب و أقحم في العلم وطبيعة المرحلة ساعدت على هذا الإقحام إن لم نقل كانت الأساس في تأكيده .

الفصل الثاني

المنهج البياني في التفسير مفهومه وخصائصه عند بنت الشاطئ

الفصل الثاني : المنهج البياني في التفسير، مفهومه وخصائصه

عند بنت الشاطئ

المبحث الأول: ترجمة بنت الشاطئ

1- المولد والنشأة

2- لقاء الخولي وأساتذه الجيل

3- دراستها الأدبية والإسلامية

أ- الأدب

ب- التحقيق

ج- الدراسات الإسلامية

د- الترجمة

هـ- قضايا ساخنة

4- جوائزها

5- وفاتها

المبحث الثاني : البيان عند بنت الشاطئ – خصائص المنهج البياني

1- المفهـــــوم

2- خصائص منهجها البياني

أ- البحث الدلالي للكلمة القرآنية

ب- قضية الترادف في المنهج البياني

ج- الإحاطة بظروف النص القرآني

د- التناول الموضوعي لتفسير القرآن

المبحث الثالث : اللمحة النفسية في المعنى القرآني

المبحث الأول : ترجمة بنت الشاطئ

1- المولد والنشأة

هي عائشة عبد الرحمن المكنات ببنت الشاطئ ،الكاتبة المصرية والباحثة والمفكرة والأستاذة الجامعية في الأدب العربي ،ولدت في مدينة دمياط بشمال دلتا مصرفي 6 من ذي الحجة 1331هـ الموافق ل 06 نوفمبر 1931 م[1] في بيت عرف بالعلم والصلاح والتصوف ، والدها أحد شيوخ المعهد الديني بدمياط الشيخ علي عبد الرحمن وكان يتمنى أن يرزق بولد ، فلما رزق بعائشة وهي الابنة الثانية في العائلة نذرها للتعليم الديني ،وقد تربت على يديه تربية إسلامية صحيحة وعن تلك الحياة التي عاشتها مع والدها تقول بنت الشاطئ : "والدي ينتزعني من ملعب حداثتي ، ويلزمني من قبل أن تحل عني تمائم الصبا ، صحبته في مجلسه بالبيت ، أو في مكتبه الجامع (جامع البحر) وكان يسميه الخلوة ، ولعلي التقطت في تلك المرحلة المنسية بعض الآيات والصور القصار ، من طول ما سمعته يتلو القرآن الكريم . والتقطت معها كلمات مما كان يتحدث به وزملاؤه وتلاميذه من العلم والإسلام "[2] تفتحت مداركها على جلسات الفقه والأدب وتعلمت وفقا للتقاليد الصارمة لتعليم النساء وقتئذ في المترل وفي مدارس القرآن (الكتاب) ومن المترل حصلت على شهادة الكفاءة للمعلمات عام 1929م الأولى على القطر المصري كله ، ثم الشهادة الثانوية عام1931 م

[1] – الموسوعة العربية العالمية ، ط 2 ،ج16 ، ص 08 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية 1999 م

[2] – على الجسر ، بين الحياة والموت ، سيرة ذاتية عائشة عبد الرحمن ، ص 28 ، الهيئة العامة للكتاب 1999 م

التحقت بجامعة القاهرة لتتخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية 1939 م ، ثم نالت الماجستير بمرتبة الشرف الأولى عام 1941 م [1] ومثل طريق التعليم المدني القفزة النوعية في مسار بنت الشاطئ العلمي ووجدت جدها لوالدتها الشيخ الدمهوجي خير مؤازر لها في التحاقها " بمدرسة الأميرية للبنات وحصلت منها على الشهادة الابتدائية وأكملت بعدها طريق التعليم المدني حتى وصلت أبواب الجامعة في عام 1935 بعيدا عن عين والدها الذي كان يرى أن هذا النوع من التعليم سلوكا غير مقبول من ابنة أزهري"[2]

تزوجت أستاذها بالجامعة الشيخ أمين الخولي(1895-1966 م) أحد قمم الفكر والثقافة في مصر حينئذ وصاحب الصالون الأدبي والفكري الشهير ب "مدرسة الأمناء" وأنجبت منه ثلاثة أبناء وهي تواصل مسيرتها العلمية لتنال رسالة الدكتوراه عام 1950 م ويناقشها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين .

تدرجت في المناصب الأكاديمية من أستاذ زائر لجامعات أم درمان والخرطوم بالسودان عام 1967 م والجزائر 1968م ، وبيروت 1972 م ، وجامعة الإمارات العربية 1981 م وكلية التربية للبنات في الرياض 1975-1983 م إلى أن أصبحت أستاذا للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القيروان بالمغرب ، حيث قامت بالتدريس هناك ما يقارب العشرين عاما

[1] - الموسوعة العربية العالمية ، ص9-10

[2]- رائدات الأدب النسوي في مصر ، أميرة خواسك ، ص 115-122 ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر 1999 م

2- لقاء الخولي وأساتذة الجيل :

التقت أساتذة الجيل الذين كان لهم أبلغ الأثر في حياتها : أمين الخولي ، مصطفى عبد الرازق ، لطفي السيد وطه حسين ، ولكن الخولي كان أولهم وأكثرهم تأثيرا واتصالا بها إذ كان أستاذها في الجامعة ثم تزوجها في سنة 1941 م أنجبت منه ثلاث بنات وظلت وفية له في حياتها العائلية والفكرية حتى وفاتها.

تتحدث عائشة عن تلك الفترة - أي قبيل لقاء الخولي- على أنها كانت مليئة بالغرور بالقديم الذي تعلمته وعدم الثقة في أن عند أمين الخولي ما يمكن أن يضيفه لها , قضت عائشة الصيف كله تستعد للقاء الأستاذ في العام الجامعي الثاني متسلحة بذخائر مكتبة والدها " مع الشيخ الدسوقي جوهري الذي أزاح عن صدري بعض مخاوفي من الحياة الجامعية ومن لقائي المرتقب بالشيخ أمين الخولي ومع العام الدراسي الجديد عدت إلى العاصمة و ملأ نفسي تصور واثق بأني أدنو من منطقة الضوء التي تنجاب فيها عن أفقي ظلال القلق والحيرة ، وتتضح معالم الطريق "[1] ثم تورد بنت الشاطئ اللقاء الحاسم في حياتها مع أمين الخولي وكيف استطاع أن يغير من تصورها للأمور بله الحياة كلها ، فكان اللقاء العلمي الأول له دلالته البليغة اضطرنا أن نقتبس أجواءه من نص بنت الشاطئ لإيحاءاته التي ستؤثر في مسار دراساتها فيما بعد ولربما سيرشدنا بالتأني لرصد كثير من تلك التحولات التي انعكست على منهجها في البحث تقول بنت الشاطئ " هناك حيث أخذت مكاني في قاعة الدرس بالجامعة، متحفزة للجولة الباقية لي على الطريق ، ومستجمعة كل رصيدي المتضخم من زهو الطموح وإرادة التفوق ومتأهبة لعرض بضاعتي التي تزودت بها من مدرستي الأولى ... ودخل الأستاذ الخولي

[1] - على الجسر ، بنت الشاطئ ، ص 121

.. فألقى علينا التحية واقترح لكي نتعارف أن يعرض علينا مباحث المادة المقررة علينا درسها من علوم القرآن ، ولكل طالب أن يختار مبحثا منها ، يعده ويعرضه للمناقشة في الوقت الذي يحدده . وبادرت فأعلنت اختياري للمبحث الأول ، في نزول القرآن ... وعاد الأستاذ يسأل كل طالب منا ، عن الوقت الذي يحتاج إليه في إعداد بحثه فأجبت في عناد وشموخ : يكفيني يوما أو بعض يوم . فقال في نبرة إشفاق وتحذير كذا فكري مليا فربما بدا لك أنك في حاجة إلى مزيد من الوقت . وأبيت أن أتراجع ... وقلت أسأله ، مدلة بما أملك من ذخائر علمه : هل يكفي أن أراجع في موضوعي ، بكتاب البرهان للبدر الزركشي ، وكتابي الإتقان واللباب لجلال السيوطي ، ومع الاستئناس بالسيرة الهاشمية وطبقات ابن سعد وتفسير ابن جرير ؟ فأجاب : كتاب واحد منها يكفي الآن ، لو أنك عرفت حقا كيف تقرئين" [1] .

أوردنا هذا النص بطوله لأننا نعتقد أنه الفاصلة الهامة في تحول فكر بنت الشاطئ من النظرة السطحية التقليدية في الدراسة إلى النظرة العقلية المعمقة ، فبعد لقائها مع أستاذها عرفت بنت الشاطئ أن الأمر يتطلب مجهودا كبيرا غير ما تعودت عليه من النظر في ظاهر النصوص دون محاولة سبر أغوارها " وأجلى ما حسبته سرابا ، فإذا الجامعة تعطيني من جديدها ما لم يخطر لي قط على بال .. وإذا القديم الذي جئتها به ، يجلوه الأستاذ الخولي فيمنحه روح الحياة ونبض العصر" [2]

فتبنت منهجه الأدبي وتابعت سبيله في الدراسات الأدبية والإسلامية حتى استوعبت منهجه ويرى أحد زملائها الدكتور مصطفى ناصف أنها أفضل من طبق منهج الخولي في التفسير

[1] – المصدر نفسه، ص132-133

[2] – المصدر نفسه ، ص 101-103

البياني للقرآن وتورد بنت الشاطئ فضل زوجها عليها في مسيرته العلمية في مقدمة كتابها الإعجاز البياني " مع الكتاب المعجزة عشت عمري كله، وفي المدرسة القرآنية كانت تلمذتي الطويلة التي تولاها أبي في مراحلها الأولى . وإليها انتهى تخصصي في الدراسة العليا التي وجهني إليها أستاذي الإمام أمين الخولي وظل لمدى ثلث قرن يقود خطاي على الطريق الشاق ، ويحميني من عثرة الرأي ومزالق التأويل وسطحية النظر ، ويأخذني بضوابط منهجه الدقيق الصارم .."[1] ثم توضح خطوات منهج زوجها دون أن تفصل القول فيه ولكن استعرضت عناصره مجملة في مقدمة التفسير البياني وقمنا نحن في ثنايا هذا البحث بتحليل ذلك لأن غاية بنت الشاطئ كان تطبيق المنهج من خلال تناولها لبعض آيات القرآن الكريم " وتابعت في الدراسات العليا بالجامعة ، التطبيق المنهجي لدراسة القرآن الكريم في نصه المحكم وبيانه المعجز فهدى إلى أسرار غابت عنا من العربية وإلى حلول حاسمة لكثير من قضايا وجودنا القومي ومشكلات حياتنا المعاصرة "[2].

ولا غرابة أن تجد في كل ما تبنته بنت الشاطئ من أفكار ومنهج أمين الخولي يتجسد في كل كتاباتها من الأدب إلى التراجم إلى الدراسات الإسلامية وقد عبرت عن ذلك التأثير بروح العاطفة الصادقة و التسليم اليقيني " أكان يمكن أن أضل الطريق إليه – الخولي – ، فأعبر رحلة الحياة دون أن ألقاه .. وما كان يمكن أن أحيد عن الطريق إليه، وقد عرفته في عالم المثل ومجالي الرؤى وفلك الأرواح من قبل أن أبدأ رحلة الحياة "[3] ثم أني وجدت لها عبارة رقيقة حزينه تختزن في عمقها دلالة الحب الذي تكنه لزوجها وخاصة بعد فقدانه وتدلنا على تلك الرابطة التي يصعب على من يكون

[1] – الإعجاز البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ص11

[2] – التفسير البياني للقرآن الكريم ، بنت الشاطئ ، ج01 ، ص 09

[3] – على الجسر ، بنت الشاطئ ، ص 143-145

خارجها أن يفكك رموزها كما يصعب على الناقد وهو يتولى دراسة بنت الشاطئ أن يفصل البعض عن بعضه " مات بعضي وبكي بعضي عليك "[1]

3- دراساتها الأدبية والإسلامية:

حسب التتبع الاستقرائي لنتاج بنت الشاطئ الثقافي نرى أنها سارت في الدراسة والتحقيق وفق المنهج التالي :

أ- الأدب : كانت الدراسات الإسلامية موضع اهتمامها في الطور الأول من حياتها أي قبل دخولها الجامعة بحكم نشأتها في بيت عرف بالتدين فلم يكن غريبا أن يكون موضوع نزول القرآن هو أول بحث جامعي تختاره ولكن الأمر اختلف حين بدأت دراستها الأكاديمية فقد أشار عليها أستاذها الشيخ الخولي أن تبدأ بالأدب وتهضم اللغة التي نزل بها القرآن إذا أرادت أن تشتغل بتفسيره واستجابت للنصيحة وبدأت بالدراسات الأدبية فيها نحو عشرين عاما ثم عادت إلى الدراسات القرآنية و الإسلامية .

في الأدب كانت دراستها لشخصية المعري بعنوان "الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري " أول بحث أكاديمي متخصص نالت به شهادة الماجستير سنة 1941 م لتواصل دراستها في تحقيق " رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري سنة 1950 م حصلت من خلالها على شهادة الدكتوراه في الآداب تخصص نصوص بتقدير ممتاز وناقشها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين .

إلى جانب هذه الدراسات لبنت الشاطئ دراسات شتى في المجالات اللغوية والأدبية من مثل : الخنساء الشاعرة العربية الأولى " مقدمة في المنهج " ، " قيم جديدة للأدب العربي" إلى جانب

[1] - المصدر نفسه، ص 160

بعض القصص و الأدبيات : " الريف المصري "، "سر الشاطئ" ، مضاف إلى ذلك على الجسر سيرة ذاتية تحدثت فيها عن طفولتها على شاطئ النيل و نشأتها كما ذكرت فيها زوجها الراحل ونعته بكلمات رقيقة .

و لم يتوقف الإنتاج الأدبي للدكتورة عائشة عند هذا الحد بل كانت أيضا تكتب للصحف والمجلات فبدأت الكتابة،وهي في سن الثامنة عشر في مجلة "النهضة النسائية" وقد كانت تكتب تحت اسم (بنت الشاطئ) ، وهو اسم مستعار مستمد من ذكرياتها ولهوها على شاطئ النيل وقد فضلت أن تستتر وراءه نظرا لشدة محافظة عائلتها آنذاك، وبعد ذلك بعامين فقط بدأت الكتابة في جريدة الأهرام المصرية ،وهي تعتبر من أعرق الصحف اليومية العربية ، فكانت بنت الشاطئ ثاني امرأة تكتب بها بعد مي زيادة، وكانت لها مقالة طويلة أسبوعية حيث بقيت تكتب للأهرام حتى وفاتها فكانت آخر مقالة نشرت لها في تاريخ 26 نوفمبر 1998 م وكانت بعنوان (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) .

ب- التحقيـــــق : كان منهجها في التحقيق يتضح من تحقيقها لــ" رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري من خلال المنهج التالي :

1- جمع كل نسخ النص التي يمكن الاهتداء إليها ، وتقويمها ، وعرض بعضها على بغض مستعينة ببعض المختصين في الخط والورق ثم ترتيب النسخ حسب قيمتها

2- التعريف بأعلام النص : وهي بالإضافة إلى كثرتها بها أعلام مغمورين ليس لهم ذكر فب كتب الأعلام ، إضافة إلى أن أبا العلاء كان يكتفي أحيانا بإشارة لا تساعد كثيرا في الوصول إلى صاحبها فوق هذا أن أبا العلاء كان مولعا بالتفنن في عرض أعلامه فيسمي الشخص باسمه مرة ، ويكنيه ثانيا ، ويلقبه ثالثا وينسبه رابعا وهكذا كلف جهدا في تحقيقها

3- خدمة النص بشرح مفرداته وتفسير غريبه وإيضاح مبهمه وشرح شواهده وقد اقتضى ذلك منها الرجوع إلى كتب اللغة ، حتى في الألفاظ التي فسرها أبو العلاء وذلك في كل لفظ يستدعي الضبط أو التفسير ، للاطمئنان إلى سلامة اللفظ من التصحيف في النسخ الخطية وللحاجة إلى معرفة أسلوب أبي العلاء ومعجمه ، والدلالات التي كان يؤثرها .[1]

ج- الدراسات الإسلامية : عادت بنت الشاطئ إلى الدراسات الإسلامية بعدما نضج عودها في الثقافة الأدبية حيث جاء كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم"من جزأين ظهرت الطبعة الأولى منه سنة 1962 م عن دار المعارف المصرية بمثابة حلقة الوصل بين الدراسات الأدبية والإسلامية ، وكان من المؤهلات التي نالت بها أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس وقد أهدت الكتاب إلى أستاذها وزوجها أمين الخولي

تناولت بنت الشاطئ في هذا الكتاب تفسير السور القصار من القرآن الكريم بنظرة خاصة حيث فسرت ألفاظ القرآن الكريم من الناحية اللغوية والبيانية يضاف إلى جهدها البارز في الدراسات الإسلامية كتابها القيم "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق "[2] وهو دراسة شائقة جمع بين النقد البلاغي والبحث الدلالي للكلمة القرآنية [3]

وكان التفسير البياني للقرآن ثمرة صالحة لجهود سابقة في جملة من قضايا البيان العربي ، توجتها بنت الشاطئ ببحوث لاحقة في الموضوع نفسه في جولات متعددة بين مشرق الإسلام ومغربه ضمن مؤتمرات علمية نذكر منها :

---

[1] - بنت الشاطئ من قريب، حسن عبد الحميد جبرا المالكي، ص 56 ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، مصر 2001 م

[2] - النشر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر الطبعة الثالثة 1984 م

[3] - ينظر تفصيل ذلك في الفصل الثالث ، المبحث الثاني .

- "منهج التفسير البياني الجزائر" في أوت 1963 م بدعوة من السيد أحمد توفيق المدني وزير الأوقاف آنذاك
- "مشكلة الترادف اللغوي في ضوء التفسير البياني للقرآن" مؤتمر المستشرقين الدولي بالهند نيودلهي في يناير 1964 م
- "كتاب العربية الأكبر" مؤتمر أدباء العرب بغداد العراق في 1965 م
- "تفسير سورة العصر : منهج وتطبيق " كلية الشريعة ببغداد سنة 1965 م
- "القرآن وحرية الإرادة" الموسم الثقافي للكويت سنة 1965 م
- "قضية الإعجاز" ندوة أسبوع القرآن الكريم ، جامعة أم درمان الإسلامية في فبراير 1986 م
- "إعجاز البيان القرآني" ندوة علماء الإسلام بالمغرب الرباط في مايو 1968 م
- "جديد من الدراسة القرآنية" المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر في مايو 1986 م
- "من أسرار العربية في البيان القرآني" جامعة بيروت العربية سنة1972 م
- "الإسرائيليات والتفسير" طرابلس لبنان 1972 م
- "القرآن والفكر الإسلامي المعاصر" المركز الثقافي الإسلامي بيروت في أبريل 1975 م

كما تفرغت للدراسات القرآنية في جامعة القرويين بالمغرب من سنة 1970 م [1]

د- الترجمة : في منتصف عقد الأربعينات بدأت بنت الشاطئ تقديم إسهاماتها الأولى في فن الترجمة على صفحات بعض المجلات المصرية مثل " مجلة الهلال " ، وكانت تراجمها عن شخصيات نسائية ممن عرفتهن معرفة خاصة من رفيقات الدراسة والعمل ، في عام 1953م حصل كتابها " صور من

[1] - مقدمة الطبعة الخامسة للتفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص09-10 ،ج01

حياتهن " على جائزة مجمع اللغة العربية للقصة القصيرة ، والكتاب ليس مجموعة قصصية ، بل "تراجم" عن نساء ينتمين لجيل الكاتبة ، واستمرت إسهامات بنت الشاطئ في الترجمة بعد عملها الضخم عن "سيدات بيت النبوة " وهو مشروع ضخم، يعبر عن مكانة بنت الشاطئ الإسلامية تضمن ترجمة لنساء بيت النبي صلى الله عليه وسلم بدء بأمه آمنة بنت وهب وزوجاته ثم بناته مرورا بترجمة حفيدات النبي من بنته الزهراء رضي الله عنهم أجمعين وهي السيدة زينب،وأخيرا ترجمة السيدة سكينة بنت الحسين رضي اله عنهما ، وقد تلبست بنت الشاطئ منهج زوجها أمين الخولي في التعامل مع زوجات الرسول [1]،حيث نزعت نحو آليات التحليل النفسي في القراءة ، فأعلنت رفضها للاقتراب من الترجمة التقليدية والتي تعتمد على جمع الأخبار والروايات ، وقررت تصوير شخصية زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة الزوجية والأنثوية ، أن تقدم قراءة مختلفة لكل أم من أمهات المؤمنين كامرأة تتأجج مشاعر الحب والغيرة من ميراث حواء على حد تعبيرها [2]مما أداها إلى الخروج بنتائج مختلفة عما في التاريخ الإسلامي وبالتالي انفردت في عملها هذا بآراء خالفت ما أجمع عليه المسلمون وهذا أمر طبيعي لكل عمل أدبي ، فالترجمة فن أدبي يقوم على أصل تاريخي ، ونجاح الترجمة الأدبية يكون بقدر تحقيقها التوازن بين "التاريخ" و"الفن" كما للترجمة مناهجها المختلفة المتكاملة ، وهي مناهج عقلية بحكم انتماء الترجمة لعلم التاريخ ، ومناهج فنية بحكم انتماء الترجمة إلى فن الأدب .

[1] – أشار أمين الخولي لانتمائها لمدرسة واحدة في تقديمه لكتابها " سكينة بنت الحسين " " فإن صاحبة هذا الكتاب ربيبة مدرسة أنا انتمي إليها ثم ربة بيت أنا آوي إليه " ص11 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان 1979 م

[2] – تراجم سيدات بيت النبوة ، بنت الشاطئ ، ص 190 ، دار الريان للتراث 1987م

وأكبر خطورة تعترض فنية الترجمة عندما تصاغ بآلية التحليل النفسي الذي يكثر فيه التأويل الداخلي وغموض البواعث والمقاصد قد تؤدي إلى نتائج خطيرة نذكر مثالا على ذلك قول بنت الشاطئ " أن النبي أشفق على السيدة سودة من الحرمان العاطفي ، وأنها ليست مثل الأخريات ، فحبه لها حب بر ورحمة وليس حب تآلف وامتزاج ، بسبب كبر سنها وثقل حركتها وسذاجة طبعها لذا بدا له أن يسرحها سراحا جميلا كيما يعفيها من وضع أحسن أنه سيؤذيها "[1] على أن البواعث الحقيقية لزواج الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم غير ذلك وإلا كيف يتزوج من خديجة ويكتفي بها زوجة طيلة خمس وعشرين ستة وهي تكبره سنا ولا يتزوج في حياتها حتى توفت رحمها الله. إن التأويل النفسي لشخصية النبي حتى وإن تناول الرسول كبشر مثله مثل الناس فإنه لا يجوز له أن يخلع عنه قداسة النبوة التي لا يستطيع التحليل النفسي أن يستوعبها ما لم يكن الوحي وحده الذي يفي بدلالتها ، ومن هنا كانت خطورة الترجمة لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بقالبها الفني .

هـــ- قضايا ساخنة: كانت بنت الشاطئ إلى جانب كونها أستاذة جامعية ، أديبة ومفكرة أسلامية ، تشغلها قضايا الإسلام والمسلمين ، وقضايا الأمة العربية ، ومن القضايا التي أسهمت فيها بآرائها وسجالاتها قضية المرأة وتحررها ، ومكانتها في الإسلام ، وما دار بينها وبين العقاد حول هذه القضية وخصوصا بعد إصداره لكتابه " المرأة في القرآن" و انتقاصه من المرأة ، واعتبارها أقل حياء من الرجل وأن النظافة ليست من خصائص الأنوثة ,وغيرها من الأحكام القاسية ، مما أدى ببنت الشاطئ أن ترد عليه بمقال في الأهرام بعنوان " اللهم إني صائمة" وأدت المشدات بينها وبين العقاد إلى درجة الإهانة الشخصية ، كما شنت حملة واسعة على ما بات يعرف بـــ" التفسير العصري للقرآن الكريم "

[1] - المصدر نفسه ، ص 471

أفردت له جزء هاما من الدراسة في كتابها "القرآن وقضايا الإنسان" [1]وهي بهذا الموقف لا تخرج عما وقفه أستاذها أمين الخولي وهو يحمل على التفسير العلمي وينكره ، يعبر الخولي عن موقفه الناقد للتفسير العلمي " كيف يؤخذ جوامع الفلك ، والطب، والهندسة والكيمياء من القرآن ، وهي جوامع لا يضبطها اليوم أحد إلا تغير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير ، وما ضبطه منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى ثم تغير تغيرا عظيما فيما تلا"[2]،وتعبر بنت الشاطئ عن الموقف نفسه ولكن أكثر جرأة وهذا ما يفسر التأثر البليغ بأستاذها في منهجه ، حتى في القضايا الساخنة تقول " ولكن الذي لا أفهمه ، وما ينبغي لي أن أفهمه ، هو أن يجرؤ مفسرون محدثون على أن يخوضوا في كل هذا ، فيخرج أحدهم على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعة وكيمياء ، وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعة وحشرات وجيولوجيا ... وإلا أن أتخلى عن كبرياء علمي وعزة أصالتي فأعيش في عصر العلم بمنطق قريتي حين يفد عليها الباعة الجائلون بألف صنف ، يروج لها ضجيج إعلاني بالطبل والزمر ، عن كل شيء لكل شيء" [3] .

4- جوائـــزها: حصلت الدكتورة عائشة على الكثير من جوائز منها جائزة الدولة التقديرية للأدب في مصر والتي حازت عليها عام 1978م ، كما حصلت أيضا على جائزة الحكومة المصرية في الدراسات الاجتماعية، والريف المصري ،ووسام الكفاءة الفكرية من المملكة المغربية،وجائزة الأدب من الكويت عام 1988م . وفازت أيضا سنة 1956م بجائزة الملك فيصل للأدب العربي مناصفة مع الدكتورة وداد القاضي عام 1994م .كما منحتها العديد من المؤسسات الإسلامية عضوية لم تمنحها

[1] – ينظر " القرآن وقضايا الإنسان " بنت الشاطئ ، ص 277- 446 ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة 1982

[2] – مناهج تجديد ، أمين الخولي ، ص 122

[3] – الإنسان وقضايا العصر، بنت الشاطئ ، ص 350

لغيرها من النساء مثل مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، والمجالس القومية المتخصصة، أيضا أطلق اسمها على الكثير من المدارس وقاعات المحاضرات في العديد من الدول العربية.

5- وفـــــــاتهـــا:

وفي الأول من شهر ديسمبر عام 1998م رحلت عنا الدكتورة بنت الشاطئ بعد إصابتها بأزمة قلبية أدت إلى حدوث جلطة في القلب والمخ وهبوط حاد بالدورة الدموية ، وقد خلفت خلفها ثروة هائلة من الكتب والمؤلفات الأدبية التي وإن عبرت عن شيء فستعبر عن جهاد هذه المرأة المسلمة والتي بذلت في سبيل علمها وقلمها الذي كان السيف البتار لذلك ستبقى كتاباتها وذاكرتها قدوة لمن بعدها وعلما يشير إلى المكانة السامية التي وصلت إليها المرأة المسلمة.وستبقى ذكراها خالدة في أذهان طلابها المنتشرين في كل بقاع عالمنا العربي و الذين صاروا أعلاما في الفكر والأدب ، كما سيهيم طيفها حول كل طالب علم تصفح كتبها أو تبنى أفكارها .

المبحث الثاني : البيان و خصائصه عند بنت الشاطئ:

1- مفهوم البيان :

لبنت الشاطئ مفهوم للبيان يرتبط بوروده في القرآن،بحيث يأخذ مكانته الأصلية في إنسانية الإنسان ،وتذهب إلى أن القرآن الكريم وحده الذي لفت إلى اختصاص الإنسان بالبيان،وجعل معجزة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم في البيان القرآني ، و"تأتي صيغة "بيان" في القرآن الكريم ثلاث مرات ، كلها في سياق يتصل بهذا القرآن الذي نزل على نبي الإسلام والآيات الثلاث :

{ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ }[1]

{ هَـــذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}[2]

{ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }[3]

" وكل استعمال المادة (ب ي ن) بمختلف صيغها ، يدل دلالة صريحة على **الوضوح والإبانة الكاشفة** "[4] فهي بهذا التعريف لا تخرج عمن سبقها من البلاغيين واللغويين، بيد أنها تذهب إلى أبعد من ذلك فالبيان على اعتبار أنه من خصائص الإنسان إلا أنه يختلف عن كونه مجرد نطق صوتي فحسب ،وقد جاء النطق أو المنطق بحسب تعبير القرآن الكريم مضافا إلى الطير في آية النمل

---

[1]- سورة القيامة الآية 19

[2]- سورة آل عمران الآية 138

[3]- سورة الرحمن الآية 04

[4]- القرآن وقضايا الإنسان، بنت الشاطئ ، ص55

{ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ} [1] .

واللغة العربية في توسعها المجازي تقبل أن نقول نطق الطير ،ونطق الصخر، ونقول للوحة فنان أبدع صورة ناطقة ،ولكن" لا تقبل إسناد البيان بمفهومه الخاص إلى حيوان أعجم أو جماد ومن هنا كان اختيار لفظ "البيان" للمصطلح البلاغي من فن القول الذي هو من خصائص الإنسان وحده "[2].

وإذا كان جهد الفلاسفة في الوصول إلى خاصية تميز الإنسان عن غيره من الأجناس ،ورأوا أن النطق هو هذه الخاصية ،وقالوا في الإنسان حيوان ناطق واطمأن المناطقة إلى أنه التعريف الجامع المانع، فان بنت الشاطئ وانطلاقا من القرآن الكريم دائما ترى أن مجرد النطق الصوتي ليس مقياسا للإنسان بل البيان هو الخاصية الفريدة المميزة له، فالحيوان في عمومه المطلق مزود كذلك بالألسن والآذان والعيون، والتي يفترض فيها النطق والسمع والبصر ولكن لا تملك – مع كل ذلك– وعيا ،ولا إدراكا أو تمييزا ذاك الذي يرفعها إلى مستوى الإنسان ، بل إن الإنسان نفسه إذا فقد ذلك الوعي والإدراك "البيان" مسخت إنسانيته فهبط إلى دونية الدواب العجماء { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[3]،{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ}[4] .

---

[1]– سورة النمل الآية 16

[2]– القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ، ص56

[3]– سورة الاعراف الآية 179

[4]–سورة الأنفال الآية 22

فالبيان في القرآن يختص بالإنسان وحده ،ومنه جاء إعجازه البياني يتحدى العرب في لغتهم التي كانت فخر عزهم ، تحداهم أن يأتوا بمثله ، ثم بعشر سور من مثله ، ثم كانت ذروة التحدي أن يأتـــوا بسورة من مثله ، ومن ثم فإنه حصل بعض الخلاف عند العلماء في فهم الإعجاز لكن الأمر الذي "لا ريب فيه هو أن إعجازه البياني لم يكن قط موضع جدل أو خلاف ..وإنما كان الجدل بين الفرق الإسلامية في اعتباره الوجه في الإعجاز أو القول معه بوجوه أخرى "[1] .

وتختم بنت الشاطئ تصورها للبيان في كونه ليس مجرد اختصاص الإنسان به من جهة كونه قادرا عليه دون الحيوان ، بل" يتسع مفهوم ذلك الاختصاص ، فيشمل انفعال الإنسان بالبيان وتذوقه إياه ، وإدراكه لوقعه المسيطر على منافذ التأثير والوجدان ، وهو أداته في التعبير المبين ،ووسيلته إلى ممارسة قدرته على التفكير وأهليته للتعلم التي استحق بها أن يكون خليفة في الأرض "[2] .

2- خصائص المنهج البياني في التفسير(بنت الشاطئ نموذجا):

أ – البحث الدلالي للكلمة القرآنية :

" .. نقدر أن العربية هي لغة القرآن، فنلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية. ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القران من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة وسياقها العام في القران كله "[3].

يعمل المنهج البياني في التفسير على تأصيل البحث الدلالي للكلمة القرآنية لا من خلال فك جدلية الزوج (اللفظ ، المعنى) والذي كان من كبريات الفكر الاعتزالي في فهم النص القرآني

[1] – الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، بنت الشاطئ ، ص82

[2] – القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ، ص59

[3] – التفسير البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ج01 ، ص 11

ومقدمة لانطلاق معركة إعجازه في السؤال أين يكمن هذا الإعجاز في اللفظ أو المعنى؟ لكن يعمد المنهج البياني المتجدد إلى دراسة العلاقة القائمة بينهما في انتزاع الصورة الأدبية منهما،متجاوزا الفكرة القديمة القائلة بأفضلية أحدهما على الآخر، وإخضاعهما معا إلى الذائقة الفنية القائمة على استكناه الجمال والروعة فيما يقدمه النص القرآني بطرفيه اللفظ والمعنى ،ومنه جاء المنهج البياني بما يعرف بالصورة الأدبية وهي " كلام مشحون شحنا قويا يتألف عادة من عناصر محسوسة ،خطوط ، ألوان حركة ، ظلال ، تجمل في تضاعيفها فكرة أو عاطفة أي أنها توحي بأكثر من المعنى الظاهر ، وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي وتؤلف في مجموعها كلا منسجما "[1]، فالصورة الأدبية التي يبتغيها أداة فنية تستوعب أبعاد اللفظ والمعنى بما لهما من خصائص ،وما بينهما من علاقة يصعب معها الفصل بينهما.

والألفاظ في البيان القرآني تتميز بدقة اختيارها ومطابقتها للمعنى ، لا تتوفر لأي عمل أدبي يقول الخطابي(ت.388هـ) في هذا المقام " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل ، ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه . أما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها"[2]، بيد أن ما آلت إليه البلاغة وبخاصة البلاغة القرآنية في حصر أبحاثها في المعاني والبيان والبديع وضروب تقسيماتها الجافة وأنواع

[1] – تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب ، ص192 ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان 1971 م

[2]– بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد ، تحقيق محمد أحمد خلف الله ص 24 ، دار المعارف ، القاهرة 1967م

كل قسم بمفرده أفقد ذاك الجمال الفني للنص القرآني ، وتلك الصورة الأدبية التي بهرت العرب قديما بجمال القرآن وروعته وهم ينظرون كيف خلص لغتهم من الوحشي والغريب بسبب "ما ساد تلك البلاغة من نزعات فلسفية وكلامية ومنطقية ، أقحمت فيها كثير من أبحاث لا علاقة لها بالغرض الأدبي وضيقت دائرتها الفنية وأفاضت عليها جمودا وجفافا أعجزها عن أن تدرك أدبيا في ذوق دارسها .."[1]

فالمدرسة الأدبية الحديثة بمنهجها البياني قطعت أشواطا كبيرة بالخروج من ضيق الازدواجية القديمة التي أثارتها المدارس التقليدية والصورة النمطية للبلاغة إلى " فنية البلاغة" وضرورة إعادة البلاغة التي خرجت من القرآن الكريم مستقلة إلى القرآن الكريم " بشكل تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني ، وتستبين معارف هذا الجمال وتستجلي قسماته في ذوق بارع وقد استشف خصائص التراكيب العربية ،منضما إلى ذلك التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة مزاياها الخاصة بين أثار العربية "[2]، إذ القرآن الكريم هو النص الموثق وهو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه ،وهو النص الوحيد الذي لم تطله يد التحريف أو الوضع كما طالت النصوص الأدبية من شعر ونثر، فالأولى والحال كذلك أن نحتكم إليه في التوجيه النحوي والبلاغي،ونعرض عليه قواعد النحويين والبلاغين لا العكس ".. ولا نأخذ فيه بتأويل السلف على صريح نصه وسياقه،لتسوية قواعد الصنعة النحوية وضوابط علوم البلاغة .. "[3] .

---

[1] -دائرة المعارف "مادة بلاغة" ، أمين الخولي ،ج 04 ، ص 80

[2] - مناهج وتجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي ، ص 324

[3] - التفسير البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ج01 ، ص 11

ولما كان القرآن الكريم يمثل الذروة البيانية في الموروث البلاغي عند العرب،يبتعد عن النمط الجاهلي في ألفاظه ،ويستقل استقلالا تاما في مداليله فلا أثر فيه لبيئة أو إقليمية أو زمنية، فهو المحور الرئيس لدى البحث الدلالي باعتباره نصا عربيا ذا طابع إعجازي وكتابا إلهيا ذا منطق عربي .

والتركيبة اللفظية للقرآن الكريم لغة اجتماعية ذات طابع دلالي خاص،تستمد نشاطها البنائي من بنيات بلاغية متجانسة ،حتى عادت لغة مسيطرة في عمقها الدلالي لدى عامة الناس في الفهم الأولي ،وعند خاصة العلماء في المعاني الثانوية ، لغة تبتعد عن الوحشي الغريب وتقترب من السهل الممتنع ذلك من خلال التعامل اللغوي الموجه للفرد والأمة ، ذلك ما افرز حضارة متميزة.

وقد اعتبر الخطابي اختيار اللفظ المناسب للموقع المناسب عمود البلاغة القرآنية "في الكلام ألفاظ متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة والحمد والشكر وبلى ونعم ... ونحوهما من الأسماء والأفعال والحروف والصفات.. والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك لان كل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وان كانا قد يشركان في بعضهما .."[1] .

واستنادا إلى هذا المفهوم الدقيق في التمييز بين دلالة لفظ ولفظ نشير إلى ثلاث ظواهر مهمة في دلالة الكلمة في القرآن الكريم ،والتي استطاع المنهج البياني الوقوف عليها وتوجيه البحث

[1] – بيان إعجاز القران ، الخطابي ، ص29

انطلاقا منها،متجنبين الخوض في البحث الدلالي والتعريفات الخاصة بأقسام الدلالة من صوتية وهامشية وإيحائية ،لأن ذلك له مجاله في نظرية النقد العربي [1].

– **الظاهرة الأولى** : إن اختيار القران الكريم للألفاظ في دلالتها إنما جاء متناسقا مع مقتضيات الحال وطبيعة المناسبة من خلال عدة أوجه :

وجه يريد به القرآن الكريم صيغة معينة لحال معينة تستوعب غيرها ولا يستوعبها غيرها ، فهو يعمد إلى اختيار اللفظ الدقيق لهذه الغاية فيتبناه دون سواه من الألفاظ المقاربة أو الموافقة أو الدارجة كما في قوله تعالى{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }[2]، فالله تعالى أراد الظمآن بكل ما تحمله الكلمة في تضاعيفها الأولية والثانوية من دلالات خاصة بها ، فلو جاءت كلمة (الرائي) مكان (السراب) فهي لا تؤدي الدلالة المطلوبة فلو " قال يحسبه الرائي ماء لم يقع قوله (الظمآن) لأن الظمآن أشد فاقة إليه وأعظم حرصا عليه "[3].

فالرائي على افتراض قد يرى السراب من بعيد وقد لا يكون بحاجة إليه ، فلا يتكلف إلا الخداع البصري أما الظمآن فانه يتعب ويكدح لأجل الوصول إلى الماء حتى إذا وصل إليه وإذا الذي حسبه ماء كان سرابا فتكون الحسرة أعظم والحاجة اشد .

---

[1] – ينظر مثلا كتاب الدكتور جابر أحمد عصفور الناقد الأدبي الكبير " الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي" ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة 1976 م

[2] – سورة النور ، الآية 39

[3] – الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق البجاوي وأبو الفضل ، ص 246 ، ط02 ، دار الفكر العربي، لبنان

وجه يريد به القرآن الكريم الاتساع المترامي فيكون اختياره الألفاظ ذات دلالة بمستوى هذا الاتساع والشمولية ثم الاستيعاب الكامل لها، ففي قوله تعالى {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}[1] .

فالألفاظ الواردة في الآية : دابة ، الأرض ، الله ، رزقها ، مستقرها ، مستودعها ، كل كتاب،عامة وشاملة بما يتناسب وعمومية المعاني وهي في تراصفها تفيد العموم الذي لا خصوص معه تتجه نحو الإطلاق الذي لا تقيد معه ، فالدابة مثلا تستوعب كل مركبة من خلق الله مما دب على الأرض ودرج من الإنس والجن والطير والأنعام والوحوش وكائنات لا نعرفها فنلاحظ عمومية وشمولية في دلالة لفظ واحد .

وجه يريد به القرآن الإيحاء الخاص الكامن وراء دلالة اللفظ ، فانه يختاره بذاته لتلك الدلالة بذلك الإيحاء فبنظرة معمقة للفظ (**زرتم**) في سورة التكاثر {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[2] يتبين أن القرآن الكريم لم يورد الزيارة إلا في هذه الآية، وهذا الاستعمال يوحي بدلالة حسية قد لا ينبئ عنها ظاهر اللفظ ويبدو أن أعرابيا مرهف الحس قد التفت إلى هذا الملحظ الشاخص " ..فقال حينما سمع الآية على فطرته الصحراوية : بعث القوم للقيامة ورب الكعبة ، فان الزائر منصرف لا مقيم "[3].

تقول بنت الشاطئ في هذا المقام :" وفي التعبير عن الموت بالزيارة ملحظ بياني بالغ القوة فاستعمال الزيارة بهذا المعنى صريح الإيحاء بأن الإقامة في القبر ليست دائمة ،وهذا الإيحاء ينفرد به لفظ (زرتم) دون غيره ،فلا يمكن أن يؤديه لفظ آخر كان قال (قبرتم أو سكنتم المقابر) إلى غير ذلك

---

[1]- سورة هود ، الآية 06

[2]- سورة التكاثر ، الآية 02

[3]- البحر المحيط ، أبو حيان التوحيدي ، ج 05 ، ص 507 ، ط02 ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة

من ألفاظ تشترك كلها في الدلالة على ضجعة القبر، ولكن يعوزها سر التعبير الدال على أنها زيارة أو إقامة مؤقتة يعقبها بعث ونشور "[1] .

– **الظاهرة الثانية** : إن اختيار الألفاظ في القرآن الكريم لا يراد به الألفاظ لذاتها ، بل الألفاظ منضمة إلى المعاني ، بحيث لا يتحقق المعنى المراد إلا بهذا اللفظ دون سواه بغض النظر عن الاعتبارات البديعية الأخرى، فلا الألفاظ ذات أولوية على حساب المعاني ولا المعاني ذات أولوية على حساب الألفاظ

وربما كانت هذه الظاهرة من قضايا المنهج البياني في التفسير، بل من أهم ما عنيت به مدرسة الأمناء في التعامل مع النص القرآني أدبيا،فهي تختلف مع جملة العلماء الذين يرون عناية القرآن بالألفاظ راجع إلى العناية بأصناف البديع وفنون المحسنات اللفظية المتوفرة في القرآن بكثرة ،ومع توافر هذه الفنون في القرآن فإنها غير مقصودة لذاتها،وإنما جاءت بتناسقها ضرورة بيانية يقتضيها جمال القول على خلاف النصوص الأدبية الأخرى من شعر ونثر والتي غالبا ما تكون مثقلة بمحسنات تصرف عادة النص عن الديباجة والذائقة الفنية كما حال الأسجاع المتناثرة هنا وهناك في النثر العربي فإنها أوردت هكذا سواء أحققت الغرض المعنوي أم لم تحققه إطلاقا، فالتفسير البياني يبحث في المفردات والمركبات مستعينا بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة ، ولكن "لا على أن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته ، ولا لون يلون التفسير كما الحال القديم ، بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده ، والنظر في اتفاق معاني القراءات المختلفة للآيات الواحدة ،والتقاء الاستعمالات المماثلة في القرآن كله ، ثم على إن النظرة البلاغية في هذه المركبات ليست هي تلك النظرة الوصفية التي تعنى

[1]– التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ج01 ، ص 206

بتطبيق اصطلاح بلاغي بعينه ، وترجيح أن ما في الآية منه كذا وكذا .. بل على أن النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني وتستبين معارف هذا الجمال .."[1].

ثم إن القرآن الكريم ليس فيه مهمة لفظية على وجه ومهمة معنوية على وجه آخر، بل هما مقترنان معا في أداء المراد من كلامه تعالى دون النظر إلى جزء على حساب جزء ، حتى قضية الفاصلة في القرآن الكريم والتي تقابلها نهاية الفقرات والسجع في النثر العربي لا تتحكم في دلالة اللفظ كما هو متعارف في الأدب العربي ،وذلك من دلائل إعجاز القرآن الكريم في جمعه بين الصيغة الجمالية للشكل والدلالة الإيحائية في المعنى،فاختيار القرآن الكريم للفظ "المقابر" دائما في سورة"التكاثر"{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[2]لم يأت لاتفاق الفاصلة عند الراء في كلمتي (التكاثر والمقابر) كما يظن من يعتقد بالتعبير المسجوع،بدليل أن القرآن الكريم سيهمل في الآيات اللاحقة الفاصلة تماما لينتقل إلى النون{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}[3]،وتعقب بنت الشاطئ صاحبة المنهج البياني في التفسير على هذا الاختيار "وقد تجد الصيغة البلاغية في استعمال المقابر هنا مجرد ملاءمة صوتية للتكاثر وقد يحس أهل هذه الصنعة ونحن معهم فيها نسق الإيقاع وانسجام النغم،لكن أهذا كل ما في استعمال للفظ المقابر في آية التكاثر ، الذي أراه أن وراء هذا الملحظ البلاغي اللفظي ملحظا **بيانيا** يتصل بالمعنى،فالمقابر جمع مقبرة وهي مجتمع القبور .. هناك حيث مجتمع القبور،ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم.. وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول لا يمكن أن يقوم لفظ (القبور) بما هي جمع القبور ، فبقدر ما بين قبر ومقبرة من تفاوت يتجلى إيثار

[1]- دائرة المعارف "مادة تفسير " ، أمين الخولي ، ص 436

[2]- سورة التكاثر ، الآية 1-2

[3] - سورة التكاثر ، الآية 3-4

البيان القرآني المقابر على القبور حين يتحدث عن غاية ما يتكاثر به المتكاثرون وحين بلغت إلى مصيره هذه الحشود من الناس يلهيهم تكاثرهم عن الاعتبار بتلكم المقابر التي هي مجتمع الموتى ومساكن الراحلين الفانين "[1].

فالمنهج البياني كما وظفته بنت الشاطئ من خلال البحث الدلالي للكلمة القرآنية استطاع أن يكشف ذاك التزاوج الفني الرائع بين اللفظ والمعنى ويصل إلى براعة القرآن الكريم في تسخير اللفظ لا لغاية إيقاعية ونسق موسيقي فحسب،ولكن لغاية أكبر وأعمق ولربما نفسها الغاية التي مكنت من إعجازه البلاغي ، تلك الغاية التي تبقى عبر الأجيال اللاحقة تبحث عن الملحظ البياني.

– **الظاهرة الثالثة:** تدرج القرآن الكريم مع الإنسان لنقله إلى دائرة الإدراك ،بدء بالمحيط الطبيعي الذي يعيشه ويؤثر فيه إلى المثالي الرحب الذي يحياه ولا يراه والذي يجب أن يكون الهدف الأسمى لكل إنسان ، فجاء اللفظ ذو دلالة هامة ينتقل القرآن به من الطبيعة والمادة كمبادئ أولية للإدراك، ليرتقي به إلى المثالية الحقة فالقرآن يمثل ناحيتين، هما الناحية الواقعية التي يحياها المجتمع العربي في صحرائه ثم الناحية المثالية التي ينبغي أن تكون هدفا ومقصدا"[2]،وما يعمل عليه المنهج البياني الحديث هو توضيح الرؤية البيانية الرائعة للقرآن في انتقاله بالإنسان عبر مراحل إدراكية عقلية وحسية يأخذ من خلالها بأسباب الطبيعة المحيطة به،ففي قوله تعالي{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }[3]،"ففي هذه الصورة الأخّاذة يتجلى سطح الصحراء العربية المنبسطة والخداع الوهمي للسراب ، فنحن أمام عناصر

[1] – التفسير البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ج01 ، ص 207 وما بعدها

[2] – دراسات في القرآن ، احمد خليل ، ص 32

[3] – سورة النور ، الآية 39

مجاز عربي النوع ،فأرض الصحراء وسماؤها قد طبعا عليه انعكاسها .. حين نستخدم خداع السّراب المغمّ لنؤكد بما تلقيه من خلال تبدد الوهم الهائل لدى إنسان مخدوع ،ينكشف في نهاية حياته غضب الله الشديد في موضوع السراب الكاذب ... سراب الحياة "[1] .

ب – قضية الترادف في المنهج البياني

يقول العسكري" محال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد – في لفظة واحدة كما ظن كثير من النحويين واللغويين – وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طبائعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ماجرت به عادتها وتعارفها و لم يعرف السامعون تلك العلل والفروق وظنوا الذي ظنوه وتأولوا عليهم ما لا يجوز في الحكم "[2]. ومن هنا تبدأ بنت الشاطئ ،فهي لا تنشغل بالترادف إلا حين "يقال بتعدد الألفاظ للمعنى الواحد ، دون أن يرجع هذا الترادف إلى تعدد اللغات ، أو يكون بين الألفاظ المقول بترادفها قرابة صوتية "[3]،فقد نجد اللفظتين اسمين لمسمى واحد فيقال بترادفهما ،غير أنهما متباينان بالصفات كما في (الإنسان والبشر) { الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }[4] وقوله تعالى{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }[5] فإن الأول " مختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز، مع ما يلابس ذلك كله من تعرض للبلاء ... وينسى في حالة نشوة زهوه

[1] – الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ص 355

[2] – الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري ، ص 12، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان 1980 م

[3] – الإعجاز البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ص 209

[4] – سورة الرحمن ، الآية 1-4

[5] – سورة الكهف ، الآية 110

وكبرياء غروره .."[1]. الثاني " يؤذن فيه الآدمية المادية التي تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، وفيها يلتقي بنوا آدم جميعا على وجه المماثلة التي هي أتم المشابهة "[2] .

وإذا كان هناك اختلاف كبير بين اللغويين والبيانيين حول الترادف بين من ينفيه وبين من يثبته في اللغة*، فلا يجب أن ينسحب ذلك الخلاف إلى القرآن الكريم ، لان للقرآن استخدام خاص يتجاوز المفردة المعجمية مضيفا إليها دلالة جديدة ، فالبيان القرآني " له القول الفصل فيما اختلفوا فيه حين يهدي إلى سر الكلمة لا تقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول بترادفها "[3].

يسلمنا الحديث عن التّرادف إلى البحث الشائق الذي خلصت إليه الأستاذة بنت الشاطئ في كتابها القيم «الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق» وموقفها من الترادف في القرآن الكريم ،فقد أفردت معجما صغيرا في الجزء الثاني من الكتاب باسم مسائل ابن الأزرق، قدمت له بكلمة تاريخية عن الترادف وأقوال الفريقين من القدامى المؤيدين له والمنكرين لتخلص من هذا كله إلى القول بنفي الترادف "وفيما أشتغل به على المدى الطويل من تخصص في الدراسات القرآنية شهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يؤديها لفظ آخر في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عددا قل أو كثر من الألفاظ "[4].

---

[1]- القرآن وقضايا الإنسان، بنت الشاطئ ، ص 20

[2] - المصدر نفسه ، ص 15

* ينظر" المزهر في علوم اللغة وأنواعها" ، جلال الدين السيوطي ،ج1 ، ص402-406 ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 1992 م ، يعرض أقوال القائلين بالترادف أمثال الفخر الرازي ، والتاج السبكي والقائلين بعدمه أمثال أبن الفارس وابن جني

[3] - الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص210

[4] - المصدر نفسه، ص 215

".. ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان ، كما نستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية ، دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية ، وإن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية "[1].

من الواضح أن القرآن الكريم ، في الوقت الذي يمثل الكتاب الإلهي الذي جاء لتبيان رسالة الأمة الخاتمة ،كذلك يمثل الكتاب الذي استهدف تغيير الأمة التي نزل في أوساطها من الأميين وأبناء أم القرى بشكل مباشر،من أجل أن ينشئ جيلا قويا قادرا على تحمل أعباء الرسالة ومسؤولية تبليغها إلى الأمم والناس جميعا .

ولذلك نجد القرآن راعى الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية والنفسية والعادات والتقاليد التي كان يعيشها المجتمع الجاهلي ، وهي بطبيعة الحال تلقي بظروفها على فهم القرآن الكريم ومقاصده ، بالإضافة إلى تمييز المعاني الخاصة عن المفاهيم العامة ذات الطبيعة الشمولية والتي تحتاج إلى هذه الإحاطة والاستيعاب الكامل لكل هذه الظروف "فروح القرآن عربية ومزاجه عربي ، وأسلوبه عربي (قرآن عربي غير ذي عوج) ،والنفاذ إلى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل والاستشفاف التام لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربي ، والذوق العربي .. وإذا جهدت الدراسة الأدبية في أن تعرف عن تلك العربية والعروبة أكثر وأعمق وأدق ما يعرف تبتغي بذلك درس أدبها درسا صحيحا

[1] – التفسير البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ،ج01 ، ص 11

فان هذا القرآن رأس الأدب ، وقلبه الخافق ولن يدرس درسا أدبيا صادقا ، يفي بحاجة المتعرض لتفسيره إلا بعد أن تستكمل كل وسائط تلك المعرفة للبيئة العربية مادية ومعنوية .. "[1] .

1- أسباب النزول:

لما كان القرآن الكريم كتاب هداية للناس ، كان في الوقت نفسه يحدد الحلول الصحيحة للمشاكل التي كانت تعيق حركة الدعوة الإسلامية الفتية في مختلف مراحلها ،ويجيب على التساؤلات التي يتلقاها النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ،ويعلق على جملة من الأحداث والوقائع التي كانت تقع في حياة الناس ليوضح موقف الرسالة من تلك الأحداث والوقائع،لذا نزل قسم من الآيات القرآنية بأسباب مباشرة وقعت في عصر النبوة ، واقتضى نزول القرآن فيها كمشكلة تعرض لها النبي والدعوة وتطلب حلا أو سؤالا استدعى الجواب عنه ، أو واقعة كان لا بد من التعليق عليها وذلك من قبيل ما وقع في بناء المنافقين لمسجد ضرار بقصد الفتنة ، فقد كانت هذه المحاولة من المنافقين مشكلة تعرضت لها الدعوة وأثارت نزول الوحي بشأنها إذ جاء قوله تعالى{ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }[2].

ولمعرفة أسباب النزول أثر كبير في فهم الآية والتعرف على أسرار التعبير البياني فيها لأن النص القرآني "المرتبط بسبب النزول، تجيء صياغته وطريقة التعبير فيه وفقا لما يقتضيه ذلك السبب فما

[1] – دائرة المعارف "مادة تفسير" ، أمين الخولي ، ص 434

[2]– سورة التوبة الآية 107

لم يعرف ويحدد قد تبقى أسرار الصياغة والتعبير غامضة ."[1]ومثال ذلك ما أورده صاحب الموطأ " فعن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة أم المؤمنين وأنا يومئذ حديث السّن أرأيت قول الله تعالى " إن الصّفا والمروة من شعائر الله فمن حجّ أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما "[2]، فما على الرجل شيء ألا يطوّف بهما ، فقالت عائشة رضي الله عنها :كلا، لو كان كما تقول لكانت فلا جناح أن لا يطوف بهما ، إنما نزلت الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما "[3]،فالآية ركزت على نفي الإثم والحرمة عن السعي بين الصفا والمروة ، دون أن تصرح بوجوب ذلك ، فلماذا اكتفت بنفي الحرمة ، دون أن تعلن وجوب السّعي،والجواب على هذا السؤال يمكن معرفته عن طريق ما ورد في سبب نزول الآية من أن بعض الصحابة تأثموا من السعي لأنه من عمل الجاهلية كما أوردنا فنزلت الآية بملحظ بياني رائع تنفي هذه الفكرة من أذهان الصحابة وتقر في الآن نفسه أن الصفا والمروة من شعائر الله فسبب النزول ساعد على فهم السر البياني في التعبير القرآني .

على أن الإفراط بالقول بأسباب النزول ،وورد كل شاردة وواردة في القرآن الكريم إلى سبب بعينه فيه إجحاف في حق القرآن الكريم " أولع كثير من المفسرين بتطلب أسباب نزول آي القرآن ، وهي حوادث يروى أن آيات من القرآن نزلت لأجلها لبيان حكمها أو لحكايتها أو إنكارها أو نحو ذلك ، وأغربوا في ذلك وأكثروا حتى كاد بعضهم أن يوهم الناس أن كل أية من القرآن نزلت

[1] – علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ، ص 45 ، ط03 ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان 1995 م

[2]– سورة البقرة الآية 158

[3]– الموطأ ، الإمام مالك ، ط 02 ، ص311 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان 1981م

على سبب .. فكان أمر أسباب نزول القرآن دائرا بين القصد والإسراف ، وكان في غض النظر عنه وإرسال حبله على غاربه خطر عظيم في فهم القرآن .."[1]،كما أن الوهم بأن القرآن الكريم لا تنزل آياته إلا لأجل حوادث، يخلع عنه صفة الهداية لصلاح الأمة جمعاء ،كما يخلع عنه امتداده الأزلي،بل إن التفسير البياني للقرآن الكريم والذي محل دراستنا ، لا يعترف في دائرة منهجه بأسباب النزول إلا في حدود أنها "قرائن مما حول النص ، وهي باعتراف الأقدمين أنفسهم لا تخلو من وهم ، والاختلاف فيها قديم وخلاصة ما انتهى إليه قولهم في أسباب النزول أنها ما نزلت إلا أيام وقوعه وليس السبب فيها بمعنى السببية الحكمية العلية "[2] .

وتبقى أسباب النزول بالنسبة للمفسر مما يساعد على"..بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيرا ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك.. "[3] .

2- الإسرائيليات :

لم تتعرض فنون المعرفة الإسلامية إلى ما تعرض له التفسير من حيث كان ولا يزال مجالا لاختلاف الظروف والأحوال، فعلى المدى الطويل خضع فهم المسلمين للقرآن الكريم لمؤثرات شتى من عوامل سياسية ومذهبية لا يسبر لها غور،وجذور المأساة قديمة ،يرجعنا التاريخ إلى بدايتها الأولى عندما أقحم اليهود على التفسير القرآني عناصر اسرائلية .

[1] – تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور، ج01 ، ص46 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر

[2] – التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ج01 ، ص 23

[3] – تفسير التحرير والتنوير ، طاهر بن عاشور ، ص 47

فهناك كثير من الأفكار الإسرائيلية عن الأنبياء وعالم الآخرة والملائكة أضيفت إلى القرآن نتيجة الربط التفسيري بين الوقائع التي تسردها الكتب الإسرائيلية،أو التي يرويها الإسرائيليون والوقائع التي يشر إليها القرآن الكريم لاستخلاص العبرة والموعظة منها، والأخطر في ذلك أن هذه الأفكار الغريبة تسربت ممن عدوا من الصحابة "الذين ترجع إليهم الأمة في أمور دينها ،فهم تراجمة القرآن للأجيال التي لم تدرك عصر المبعث ، وهم رواة السنّة المصدر الثاني للشريعة الإسلامية .. ومن الجيل الأول للذين أسلموا ، بدأت تدخل الفهم الإسلامي عناصر من تأويلاتهم وشروحهم ، وكانت الثغرة التي تسللت منها هذه العناصر ، أن القرآن الكريم يجمل غالبا ، قصص القرون الخالية ، تركيزا على موضع العبرة منها وجوهر الحادث "[1].

و الغريب حقا أن القرآن الكريم ومن أوائل العهد المدني حيث كان اختلاط اليهود بالمهاجرين والأنصار تتابعت آياته تحذر المؤمنين من شر هؤلاء المزيفين { أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[2]

{ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[3]، فلماذا اتجه الصحابة إلى الاعتماد على الإسرائيليات رغم هذا التحذير المباشر من القران الكريم ؟.

تجيبنا بنت الشاطئ صاحبة المنهج البياني على هذا الإشكال " وعذر العامة أن الإسلام فرض عليهم الإيمان بالرسالات الدينية قبله ، وأكد القرآن أنه مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل

[1]- القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ، ص 299

[2]- سورة البقرة ، الآية 75

[3]- سورة آل عمران ، الآية 78

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس نهي عن سماع أقوال أهل الكتاب ، وإنما النهي عن العمل بها ، وهيهات أن يميز عامة المسلمين ، فيما يسمعون من اسرائليات بين ما هو أصل التوراة وماهو من تحريف يهود وأسطوريات ميراثهم من التيه والتشرد والحقد والشر .."[1]، ومن هذا الموقع دخلت الإسرائيليات في كتب التفسير مروية عن صحابة رسول الله ، وكان لها موضعها مع الآيات القرآنية في كتب التفسير، حرمة ومهابة وبمضي الزمن ، ثبتتت في فهم المسلمين للقرآن فما استطاعوا أن يتحرروا منها حتى اليوم .

ونضيف إلى هذا التعليل تصورا أخر يرتبط في الأساس بمدى تفاعل عامة الصحابة بالثقافة الإسلامية الناشئة والتي كان القرآن الكريم محورها الأساسي ، ففي الوقت الذي نجد القرآن الكريم يحث على التأمل في الكون ، والتدبر في آيات القرآن الكريم ومفاهيمه واستعمال العقل كأداة لأدراك بعض المفاهيم الكونية والاجتماعية ،كان رجال المرحلة الأولى من الصحابة ينظرون إلى البحث والتأمل خارج حدود المشكلة اللغوية والتاريخية بحثا غير إسلامي ،قد ينتهي بهم إلى الانحراف في فهم الدين والضلال عنه ،فتركوا المجال للأفكار الواردة من الإسرائيليات لتحل محل التفكير والتأمل خصوصا في مسائل الغيب وقصص الأنبياء وحتى الذات الإلهية .

د – التناول الموضوعي لتفسير القران

" الأصل في المنهج – البياني للتفسير – التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس "[2] .

[1] – القرآن وقضايا الانسان ، بنت الشاطئ ، ص299

[2] – التفسير البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ،ج01 ، ص10

في ملاحظة سريعة للدراسات التفسيرية منذ العصور الإسلامية الأولى نجد فيها اختلافا كثيرا وتفاوتا كبيرا في الموضوعات ذات العلاقة في البحوث القرآنية ، حيث نرى بعض المفسرين يتجه إلى التأكيد على الجوانب اللغوية واللفظية في النص القرآني ، وبعضهم الآخر يتجه إلى التأكيد على الجانب التشريعي والفقهي من القرآن ، وثالثا يتجه إلى التأكيد على الجانب العقيدي أو الأخلاقي أو العلمي التجريبي ، وبالرغم من هذا الاختلاف الكبير لا نكاد نجد اختلافا مهما في منهج الدراسة والبحث ، ذلك أنهم اعتادوا على أن ينهجوا في البحث طريقة تفسير الآيات القرآنية بحسب تسلسل عرضها في القرآن الكريم ،وتنتهي مهمة تفسيرها عند تحديد معنى الآية موضوعة البحث مع ملاحظة بعض ظروف السياق أو بعض الآيات الأخرى المشتركة معها في نفس الموضوع ويسمى هذا المنهج بالتفسير التجزيئي أو الترتيبي للقرآن الكريم .

والتفسير التجزيئي قد بدأ مع عصر الصحابة على مستوى شرح تجزيئي لبعض الآيات القرآنية وكلما امتد الزمن ، ازدادت الحاجة إلى تفسير المزيد من الآيات ، إلى أن انتهى إلى الصورة التي قدم فيها ابن ماجة والطبري وغيرهما ممن كتب في التفسير وليس هنا محل الحديث عن تاريخ التفسير فقد أفاض فيه العديد من الكتاب والعلماء[1] .

ما يهمنا هنا المنهج الذي اتبعه التفسير الترتيبي، فهو"يقف دائما عند حدود فهم هذا الجزء أو ذاك من النص القرآني ، ولا يتجاوز ذلك غالبا ، وحصيلة تفسير تجزيئي للقران الكريم كله تساوي على أفضل تقدير ، مجموعة مدلولات القران ملحوظة بنظرة تجزيئية أيضا ،أي أننا سوف نحصل على

[1]- ينظر مثلا " التفسير والمفسرون " للأستاذ محمد حسين الذهبي ،ج1 -2-3 ، الناشر مكتبة وهبة عابدين ، مصر ، الطبعة الرابعة 1988م

عدد كبير من المعارف والمدلولات القرآنية ، ولكن في حالة تناثر وتراكم عددي ، دون أن نكشف أوجه الارتباط ، والتركيب العضوي لهذه المجاميع من الأفكار ، ودون أن نحدد في نهاية المطاف ، نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة..."[1]، أما في الفترة المتأخرة من تاريخ علم التفسير أخذت تنمو بوادر منهج جديد في التفسير أو البحث القرآني ،يقوم على أساس محاولة استكشاف النظرية القرآنية في جميع المجالات العقيدية والفكرية والثقافية والتشريعية والسلوكية من خلال عرضها في مواضعها المختلفة من القرآن الكريم .

فالتفسير الموضوعي أصل هذا المنهج الجديد ، إنه يعتمد "دراسة القرآن موضوعا موضوعا لا أن يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم سورا أو قطعا ، وأن تجمع آياته الخاصة بالموضوع الواحد جمعا إحصائيا مستفيضا ويعرف بترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم ، فيكون التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تحديده "[2].

ولأجل أن يتضح المراد من التفسير الموضوعي يحسن بنا أن نقف على مصطلح الموضوعية فليس الغرض منها هنا مقابل الذاتية والتحيز،فالباحث لا يجوز عليه التأثر بالذاتية وأحاسيسه خصوصا عندما يقف أمام النص القرآني لتفسيره ، بل الواجب عليه التمسك بالأساليب العلمية المعتمدة على الحقائق الواقعية ،كما أن الموضوعية من هذا الجانب تجري على التفسير التجزيئي كما التفسير الموضوعي ، بيد أن المراد من الموضوعية في التفسير أن يبدأ في البحث من الموضوع الذي هو الواقع الخارجي ليعود إلى القرآن الكريم ،فيحدد الباحث موقف القرآن من الموضوع الخارجي وكأن الباحث

[1]- المدرسة القرآنية – السنن التاريخية في القرآن – ، محمد باقر الصدر ، ص 31 ، دار التعارف، لبنان 1989 م

[2]- دائرة المعارف "مادة تفسير" ، أمين الخولي ، ص 432

يستنطق القرآن الكريم في قضية من القضايا ،ثم إن هذا الاستنطاق هو الذي يؤسس بما يعرف في العلم الحديث (بالنظرية) "فيركز المفسر – في منهج التفسير الموضوعي– نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية ، الاجتماعية أو الكونية ، ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل ، وما قدمه الفكر الإنساني من حلول وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ ، ثم يأخذ النص القرآني .. ويبدأ معه حوارا ، فالمفسر يسأل والقرآن يجيب وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح "[1].

والجديد في هذا المنهج أنه يوحد بين التجربة البشرية والقرآن الكريم، لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن ، بل بمعنى أنه يوحد بينهما في سياق واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف القرآن تجاه هذه التجربة أو المقولة أو النظرية ،وفي جولة سريعة في كتاب الأستاذة بنت الشاطئ " الشخصية الإسلامية " – دراسة قرآنية – كمثال على ذلك نلحظ فيه كيف عالجت الأستاذة مفهوم الشخصية كموضوع،ارتبط بالواقع وما أفرزته النظريات الغربية والأوضاع التاريخية وتأثيرها في العمق العربي والإسلامي ،وبين ما أسسه الإسلام من خلال القرآن والسنة، فهي بعد أن تعرض للأوضاع التاريخية للمجتمع الإسلامي وما طرأ عليه من تغير وتشويه للشخصية الإسلامية ،تقر أنه عندما "نتحدث عن الشخصية الإسلامية ، لا ندري على التحقيق ما نعني بها ، وإن في المجتمعات الإسلامية لأنماطا منها متباينة ، قد يصل التباين بينها إلى حد التنافر والتناقض "[2] ،فما طرأ على الشخصية الإسلامية من هذا التشويه مرده إلى ما " ورثناه من تركة

[1]– المدرسة القرآنية ، باقر الصدر ، ص 19

[2]– الشخصية الإسلامية – دراسة قرآنية– عائشة عبد الرحمن ، ط 03 ، ص14 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان 1980م

مثقلة برواسب التخلف مشحونة بمخلفات الغزو الثقافي المعنوي .. فكان أول ما واجهنا بعد الاستقلال ، هذا التصدع في الكيان العام للأمة وفقدان التعاصر بين أبناء الجيل الواحد .. بحكم انتمائهم الفكري والوجداني إلى مدارس شتى وعصور متفاوتة.. وضج الميدان بدوي الصدام بين قديم وجديد بين يمين ويسار بين شرق وغرب "[1] .

وبعد هذا العرض المضطرب للشخصية الإسلامية من موقع ما لحق بها من التشويه التاريخي والأيدلوجي،تستقبل الباحثة البحث القرآني بالسؤال الموضوعي – من الموضوع – عن الشخصية كما آلت إليها واقعيا ،وهذا ما أشرنا إليه سابقا لنلاحظ سؤالها " ماذا نعنى بالشخصية الإسلامية ، وأنماطها شتى ونحن فيما بيننا غرباء ؟"[2]،لتبحث على الإجابة القرآنية من جملة النصوص التي تستقرؤها لاحقا والتي عبرنا عليها بـــ" النظرية القرآنية" للشخصية في مقابل "النظريات الغربية والواقعية " "وهذا هو ما تتجه إليه محاولتي هنا في تمثل الشخصية الإسلامية ، محتكمة إلى أدلة وشواهد من نصوص الكتاب المحكم وصحيح السنة .. فعسى ألا يضيق الأصدقاء القراء باستكثاري من إيراد النصوص وأنها لمادة هذه الدراسة ليس فيها غير التدبر والاستقراء ثم جهد التنسيق والعرض.."[3] .

ومن هنا كانت نتائج التناول الموضوعي للتفسير نتائج ترتبط دائما بالتجربة البشرية،لأنها تمثل فعلا المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية بشأن موضوع من مواضع الحياة ، وطالما كان المنهج البياني غايته " الوضوح والإبانة الكاشفة " ، فهو يبحث كل الوسائل لتحقيق تلك الغاية والتفسير في الأساس هو عملية الكشف عن مراد الله والموضوع هو التحديد والتخصيص الذي من

[1] – المصدر نفسه، ص 16

[2] – المصدر نفسه ، ص 19

[3] – المصدر نفسه ، ص 19

شأنه أن يستوفي المفسر من خلاله جميع التفاصيل والجزئيات التي تتطلب الإبانة لتحقق في النهاية الموقف الإسلامي النهائي، تضاف إلى ذلك محاكاة النص للواقع ليكون النص دائما متجددا ومفجرا للطاقات لأنه كلمات الله وكلماته لا تنفذ .

المبحث الثالث: اللمحة النفسية في المعنى القرآني

" إن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن الكريم ، كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفساني للقرآن الكريم يقوم على الإحاطة المستطاعة ، بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوى القرآن الدينية ، وجدله الإعتقادي ، ورياضته للوجدانيات والقلوب .."[1].

إذا كان الأدب ما هو إلا ترجمة لما تجده النفس الإنسانية من إحساس بالجمال،والمعرفة الصحيحة لهذه النفس فهو " يصور حياة النفوس والقلوب والأذواق على نحو لا يستطيع التاريخ أن يصوره ، ولا أن يسجله ولا أن ينقله إلينا نقلا صحيحا دقيقا "[2].كان هدف مدرسة التفسير الأدبي للقرآن الكريم أن تكشف عن هذا الجمال،ومن بعده عن النفس الإنسانية التي تفاعلت مع القرآن الكريم أو انفعلت منه ، والقرآن أولى من غيره من النصوص الأدبية بهذه المكاشفة باعتباره "كتاب العربية الأول "،والكشف عن الجمال – أساسا- يعني بلاغة أسلوبه التي تختزن إمكاناتها المتفردة في التعبير والتصوير والتوصيل،وكلها مجتمعة تقر بأدبية القرآن . فأي حديث عن تفسير أدبي هو بالأحرى حديث عن "البلاغة الفنية" المعبرة عن الجمال خدمة للنص القرآني ،ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الاقتراب من تذوق لغة البلاغة وجدانيا ووصلها بدراسات علم الجمال والدراسات النفسية الحديثة ،ولربما هذا ما فات المفسرين القدامى ومن حدا حدوهم،وهم يتناولون تفسيره بالبراهين

[1] – دائرة المعارف" مادة تفسير" ، أمين الخولي ، ص 437

[2]– خصام ونقد ، طه حسين ، ص45

النظرية والأقيسة المنطقية " وتلاقوا فيه بصنوف الأعاريب ، ومعقد الصناعة النحوية البعيدة عن روح الفن ، أو بالمحاولات البيانية الجافة ، إلى النظرات السفسطائية المسفة .." [1].

والبحث عن تجديد للبلاغة أو ما يعرف بـــ " فنية البلاغة " خدمة للنص القرآني كان غاية أمين الخولي الأساسي ومن بعده تلامذته من مدرسة التفسير الأدبي،وهو بذلك لا يخرج عن محاولات الإمام عبد القاهر الجرجاني المحتشمة حيال تربية الذوق الأدبي إذ يقول " لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ، ولا يجد له قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا ، حتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ، ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا عجبته عجب ، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه " [2]

فالبحث عن سر الجمال القولي أو ما يفضل التعبير عنه بـــ"الذوق اللغوي البلاغي" لا يمكن تداركه إلا لمن أوتي القدرة على أن تخاطبه نفسه – وفق رأي الجرجاني – بأن في السياق اللغوي ما يوحي عن ملمح جمالي ،وما رجل البلاغة إلا متذوق يطرب للأساليب الفنية من القول ويوازن بين بعضها البعض وهذا ربما ما يجعل أسلوب الجرجاني " خاليا من الأسلوب المنطقي الاستدلالي ميالا إلى طول النفس وبسطة العبارة والاعتماد على الحاسة الفنية وتحكيم الذوق الأدبي "[3] على خلاف غيره من البلاغيين المدرسيين من أمثال السكاكي والقزويني .

ومدرسة التفسير الأدبي ، بمنهجها البياني ، تعتبر أن الدراسات النفسية من شأنها أن تعين دارس الأدب – وهو متذوق البلاغة و الناقد– على تعوده المشاهدة النفسية " أي المشاركة الوجدانية

[1] – دائرة المعارف "مادة تفسير " ، ص 437

[2] – دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 291

[3] – مناهج وتجديد ، أمين الخولي ، ص 162- 163

المدربة على تمثل العمل الفني تمثلا يدفعه إلى تناوله تناولا أدبيا أقرب إلى الموضوعية التي تعرفها المعرفة بالنظريات النفسية ، أي ما سمي مدى نجاح هذه الحقائق النفسية في تفسير العمل الأدبي .."[1].

فإذا ما استقر القول بأن هناك علاقة بين البلاغة وعلم النفس – وهذا مطلب المنهج البياني في التفسير – تصبح مهمة البلاغي الناقد أكثر من مجرد تتبع للصنعة والمقاييس البلاغية فهو في أساسه متذوق" لا بد له أن يزن وقع الكلمة صوتيا في العمل الأدبي وما يمكن أن توحي به هذه الأصوات من معان حتى تحدث الأثر النفسي المطلوب "[2]، والقرآن الكريم حافل بالكلمات ذات الدلالات الصوتية المختلفة بجميع الأبعاد يضاف إليه الوقع السمعي للفظ والتأثير النفسي للكلمة والمدلول الانفعالي بالحدث،لنأخذ كلمة (آنس) في القرآن الكريم ،آنس نارا[3] ، فهي"في معاجم اللغة العربية بمعنى أبصر أو نظر أو رأى ، أو ما أشبه ذلك من الألفاظ التي يظن أنها تتعاقب على معنى (آنس) ونستقرئ الاستعمال القرآني ، فيعطينا حس العربية المرهف ، لا تقل (آنس) في الشيء تبصره أو تسمعه إلا أن تجد فيه أنسا . فإذا قال العربي الأصيل آنست فقد رأى أو سمع ما يؤنسه"[4] فوقع الكلمة الصوتي وأثرها النفسي كلها مما راعاه القرآن الكريم في الخطاب بكل أنواعه يقول الله تعالى{ يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها }[5]، فالاستئناس في الآية ليس مجرد استئذان "كما وهم الذين فسروه بذلك ، وإنما هو حس الإيناس لأهل البيت قبل دخوله ولا يسوغ في ذوق العربية أن يقال مثلا استأنس الشرطي ، أو جابي الضرائب أو الدائن وإنما هو الاستئذان ليس

[1] – التفسير النفسي للأدب ، عز الدين إسماعيل ، ص53 ، دار المعارف ، القاهرة 1963م

[2]– الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، د. عز الدين إسماعيل ، ط1 ، ص 332-333 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1955م

[3]– " إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى" سورة طه الآية 10

[4] – الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق بنت الشاطئ ص 217

[5] – سورة النور ، الآية 27

فيه حس إيناس كما لا يسوغ استعمال آنس في رؤية عدو أو نار حريق أو في سماع هزيم رعد وزئير وحش"[1]، فيكفي أن نلحظ التأثير النّفسي للكلمة في القرآن الكريم ،لنطمئن مباشرة على أن ورودها لا يمكن أن يكون غير ما أورده الله تعالى ،على الرغم من أن هناك طرقا أخرى قد توصلنا إلى فهم الكلمة ودلالتها اللغوية ، لكن بدون تقدير لإيحاءاتها المعنوية والنفسية لا نستطيع أن نتعمق في جمالياتها وعمقها ومن ثم بلوغ مراد الله تعالى ، نلاحظ ذلك جليا فيما أوردته بنت الشاطئ وكانت لمحة ذكية في تفسيرها لقوله تعالى{ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[2] "ونرى،والله أعلم أن حذف كاف من (وما قلى) مع دلالة السياق عليها ، تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللطف ، وهي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس بصريح القول : وما قلاك . لما في القلى من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض ، وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب ، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء "[3]،فحذف كاف المخاطب في (ما قلى) – والذي يقتضي السياق وجودها – فيه مراعاة لنفسية الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم خصوصا وأن سبب نزول سورة الضحى بإجماع المفسرين ، هو إبطاء الوحي على الرسول الأكرم حتى شق عليه ذلك ، وقيل فيما قيل ودع محمد ربه وقلاه فكان نزول السورة مواساة للنبي ونفي البغض له كما ادعى المشركون فكان الحذف موازيا مع نفي صفة القلى وتثبيت قلب النبي على الحق .

[1] – الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص 218

[2] – سورة الضحى ، الآية1-2

[3] – الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص 269

وعليه فالبيان القرآني بحسب بنت الشاطئ في هذا الموضع- حذف كاف المخاطب - "لا يقوم على اعتبار لفظي محض ، وإنما الحذف لمقتضى معنوي – أي نفسي –[1] بلاغي ، يقويه الأداء اللفظي ، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل .."[2].

كما تشير بنت الشاطئ الى لمحة نفسية رائعة في القرآن الكريم وفي نفس السورة عند وقوفها أمام الآية الكريمة{ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ }[3]،فبعدما تستعرض أقوال المفسرين في قهر اليتيم بمعنى لا تغلبه على ماله وحقه لضعف حاله أو التسليط بما يؤذى ،ومنعه حقه كما في تفسير "الكشاف" و"البحر المحيط"[4]،تعقب على ذلك مستعينة برؤية نفسية بليغة أبين مما قدم تقول "ونرى الإيحاء النفسي للكلمة القرآنية (فلا تقهر) أعمق وأدق من أن يضبط بهذه التفاسير المحدودة ، فلا الظلم ولا التسلط بما يؤذي ولا منع الحق ، ببالغ في التأثير ما يبلغه قوله تعالى : فلا تقهر . إذ يجوز أن يقع القهر مع إنصاف اليتيم ,وإعطائه ماله وعدم التسلط عليه بالأذى لأن حساسية اليتم ، بحيث تتأثر بالكلمة العابرة , واللفتة الجارحة عن غير قصد , والنبرة المؤلمة ، بلا تنبه , وان لم يصحبها تسلط بالأذى أو غلبة على ماله وحقه "[5] .

يبقى الحديث عن التذوق البياني للنص القرآني مرتبطا بقدرة الناقد البلاغي في الغوص في الأعماق الوجدانية التي وجد النص من أجلها ،ليستخرج دلالاتها المعنوية متجاوزا القراءة الشكلية إلى معايشة النص كمستمع مشارك ،إلى القراءة النفسية العميقة المعززة بالمثيرات البلاغية في اللغة

[1] – الزيادة ما بين عارضتين لنا حسب فهمنا المتواضع

[2] – التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص 35

[3] – سورة الضحى الآية 09

[4] – التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص 51

[5] – المصدر نفسه، ص 52

وبالأخص الصور البيانية من تشبيه وتمثيل ومدى قدرتها على خلق تفاعل بين موضوع النص والوعي أو الشعور ، ليتوحد الوعي بالموضوع فحين " ندرك الأشياء في الحياة نضفي عليها الخبرة والبنية النفسية الموجودة عندنا قبل ذلك ، ونفعل الشيء نفسه حين ندرك الأدب "[1] .

إن القراءة النفسية الوجدانية تلك التي تكشف عن إمكانات اللغة وإمكانات الحياة في نفس الوقت ، وتجعل اللغة تبتعد عن حصار المعاجم والقواميس والصنعة الجامدة لتنكشف لها الحياة ، حياة الكلمات في حركة المعنى ، كما تتجلى الحياة عموما في حركة الشعور فينشأ المزج بينهما وهذا هو الجهد الذي بدا لأصحاب مدرسة التفسير الأدبي بذله من وجهة نظر نفسية ،ويقربنا سيد قطب لهذا المعنى بكل وضوح ربط من خلاله بين بلاغة الوصف القرآني وإضاءة الدوافع السلوكية ،ومدى المزج بينهما يقول – رحمه الله – : " من النماذج الإنسانية التي تصور الجنس كله { وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه }[2] تجتمع لهذا النموذج كل عناصر الصدق النفسي والتناسق الفني ، فالإنسان هكذا حقا حين يمسه الضر ، وتتعطل فيه دفعة الحياة يلتفت إلى الخلف .. فإذا انكشف الضر ، وزالت عوائق الحياة انطلقت الحيوية الدافعة في كيانه وهاجت دوافع الحياة فيه فلبى دعاءها المستجاب ومر كأن لم يكن بالأمس شيء ، إن الحياة قوة دافعة إلى الأمام ولا تلتفت أبدا إلى الوراء إلا أن يعرقلها حاجز عن الجريان ، وأما التناسق الفني فيها فهو تلك الإطالة في صورة الدعوة عند الضر " دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما .." ثم في ذلك الإسراع عند كشف الضر "مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه" أن هاتين الصورتين تمثلان

[1] – المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية ، وليم راي ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، ص75 ، دار المأمون ، بغداد ، العراق 1987

[2] – سورة يونس ، الآية 12

بالضبط وقوف التيار عن الجريان أمام الحاجز القوي ، فقد يطول الوقوف ويطول فإذا فتح الحاجز تدفق التيار في سرعة و "مر" كأن لم يقف أصلا "[1] ، إنه البيان حقا بلغته المتحدة بين حركة الشعور وحركة المعنى ، تجعل للكلمات نبضا خاصا وظلالا وحوارا لا تنفصل عن الشعور الخارجي في تجربة الحياة الإنسانية عن المعنى الداخلي في قوتها البلاغية والدلالية .

وبدخول العامل النفسي في مدرسة التفسير الأدبي كعنصر هام من شأنه أن يفتح آفاق النص ، وينتقل به من مستوى ظاهر اللفظ إلى المستوى المعنوي والذي لا تتحدد قيمته باللفظ وحده وإنما يتسع ليشمل عدة ألفاظ، مشكلا بذلك وحدة وجدانية شعورية تشترك فيها جملة من الألفاظ قد تبدو متباعدة برؤية التفسير التقليدي أو بأدوات البلاغة الكلاسيكية ، لكن تقترب وتتحد برؤية التحليل النفسي فـــ " الخوف والتقوى والإيمان والسلام – مثلا- كلها حقائق قديمة وقد استقرت متباعدة عن بعضها لدى كثير من التفسيرات التي تدور حول النص القرآني ولكنها لو أريدت رؤيتها رؤية أدبية متجددة في ضوء معارف علمية كشفها التحليل النفسي لأمكن للمحلل البلاغي المتذوق أن يستبين وحدة ما من خلال تلك المتناقضات تهدينا إلى الهدف وهو ما لم يهتد إليه رجال البلاغة في دراستهم البيانية المهتمين بالتقسيمات السطحية"[2].

إن عمل المفسر بحسب المدرسة الأدبية للتفسير سيكون أوسع مما كان عليه من قبل يتوسع ليشمل اللغة والبلاغة وعلم النفس وعلم الاجتماع وفلسفة الأفكار في الآن الواحد ،ويجمع إلى قدراته الذاتية قدرة السابقين من المفسرين مستفيدا وناقدا بتعبير الخولى " أول التجديد قتل القديم بحثا "

[1]- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ط05 ، ص 217 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر 1992 م

[2]- نظرية المعنى في النقد العربي ، د. مصطفى ناصف ، ص196 ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان 1982م

ويستفيد أيضا من المحدثين في شتى فروع المعرفة الإنسانية ، خصوصا وأنه يبحث عن فاعلية العلاقة الثلاثية بين الله تعالى والكون والإنسان وهو بذلك سيكون لسانا البيان السامي الذي انطوى على رسالة الله تعالى إلى الإنسان في حركة الكون .

نماذج تطبيقية في المنهج البياني

عند بنت الشاطئ

الفصل الثالث : نماذج تطبيقية في المنهج البياني عند بنت الشاطئ

المبحث الأول: نماذج تطبيقية من خلال "التفسير البياني"

1- التعريف بالكتاب

2- رؤية في منهج الكتاب

3- الحوار مع الأقدمين في "التفسير البياني"

4- أسباب النزول في "التفسير البياني"

5- البحث الدلالي للكلمة القرآنية في "التفسير البياني"

6- التأويلات في "التفسير البياني"

7- الصنعة الإعرابية في "التفسير البياني"

8- الإسرائيليات في "التفسير البياني "

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من خلال "الإعجاز البياني"

1- التعريف بالكتاب

2- مدخل الى الإعجاز البياني

3- مفهوم الإعجاز عند بنت الشاطئ

4- السر البياني في القرآن

أ- فواتح السور وسر الحرف

ب- دلالات الألفاظ وسر الكلمة

ج- الأساليب وسر التعبير

المبحث الثالث : نماذج تطبيقية من خلال "القرآن وقضايا الإنسان"

1- التعريف بالكتاب

2- التناول الموضوعي لتفسير "الإنسان في القرآن"

3- التناول الموضوعي لتفسير "القمر في القرآن "

4- نقد التفسير العصري لـــ "القمر في القرآن"

المبحث الأول : نماذج تطبيقية من خلال "التفسير البياني للقرآن"

1- التعريف بالكتاب :

" التفسير البياني للقرآن الكريم " أحد أهم مؤلفات بين الشاطئ ، ظهرت الطبعة الأولى منه سنة 1962 م ، من جزأين ، خصص الأول للسور التالية " الضحى الشرح ، الزلزلة ، النازعات البلد ، التكاثر "، وخصص الثاني للسور " العلق ، القلم ، العصر الليل ، الفجر ، الهمزة ، الماعون " أي ما مجموعه أربعة عشرة سورة ، حيث العناية بالأصول الكبرى للإسلام وحرصت فيها أن تخلص لفهم النص القرآني فهما مستشفا لروح العربية ومزاجها عارضة لجملة من أقوال المفسرين نقدا وتمحيصا وأحيانا أخرى رفضا وإلغاء ، وقد قصدت بهذا النوع من التفسير إلى توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير وبين منهجها الحديث الذي يتناول النص القرآني في وجوه الإعجازي البياني وكان من المؤهلات التي نالت بها أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس[1] ، وقد أهدت بنت الشاطئ كتابها إلى زوجها وأستاذها أمين الخولي ومن خلاله تكشف التطبيق المنهجي لدراسة القرآن الكريم أدبيا وبيانيا من خلال المنهج البياني الذي أسسه الأستاذ أمين الخولي " وإذا كنت أرجو بهذه المحاولة أن أتيح لمثلها – أو لمن هو خير منها- مكانا في صميم الدرس الأدبي بالجامعة ، فإني أطمع كذلك في أن أؤكد بها ما سبق أن قرره أستاذنا – الخولي - ."[2] حتى أنها ذكرت ضوابط المنهج الذي اتبعت فيه أستاذها وواصلت عليه الطريق كما ورد في مقدمة الجزء الأول – الطبعة الخامسة – مركزة على استعمالات هذا المنهج ومحاولاته

[1]- مقدمة الطبعة الخامسة للتفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص 09 ، ج01

[2]- التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص 15 ، ج01

الخاصة للفهم سواء لفهم ما حول النص أو فهم دلالات الألفاظ داخل النص كما اشرنا إلى تفصيل ذلك في الفصل الثاني .

2- رؤية في منهج الكتاب :

ربما أهم خاصية تميز الدراسات الحديثة ،ومنها أصحاب المنهج البياني عن غيرهم من المفسرين التقليدين ، هو أن ما أصبح يعرف بالتناول الموضوعي للقرآن الكريم هو المنهج الذي يساعد على حصر السورة أو مجموع السور في موضوع واحد،مما يتيح للدارس الوقوف على الدلالة اللفظية بصورة أكثر بيانا ولمح ظواهرها الأسلوبية ،ذلك أن اعتبار القرآن الكريم سياقا واحدا لا يلغي أهمية دراسة كل سورة على حدة أو دراسة الآيات مجتمعة في موضوع واحد حتى ولو تفرقت في الأصل في مجموع السور ، وبنت الشاطئ إذ تعزز من الدراسة الموضوعية للنص القرآني بحسب المنهج البياني لمدرسة التفسير الأدبي ، فإنها ترى في محاولتها لتطبيق هذا المنهج اختيارها لقصار السور من القرآن الكريم " وأتوجه بمحاولتي اليوم إلى تطبيق المنهج في تفسير بعض قصار السور ملحوظ فيها وحدة الموضوع وأكثرها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية "[1] .

3- الحوار مع الأقدمين في " التفسير البياني" :

اعتمدت بنت الشاطئ بشكل مباشر على كتاب الله لتفسير السور غير أنها دخلت في حوار مع الأقدمين ،فهي تعرض لأقوال المفسرين في آية من آيات القرآن الكريم ، أو في لفظ من ألفاظه ،لقد انتقلت عبر آراء "الزمخشري" و"الطبري"و"الرازي" و"النيسابوري" وكثير من علماء

[1]- مقدمة التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص 18 ، ج01

اللغة والتفسير والإعراب[1] تبرز من خلال هذا الانتقال الموضوعية في التناول والبحث ، وتجعل الحوار مع النصوص حوارا مباشرا يتضح للباحث حرصها على استحضار التراث ، ثم ترى في الرد على بعض النصوص ، أنهم خلطوا في فهم ذلك من موقع أنه فاتهم الملحظ البياني التي تستعمله غالبا في ترجيح رأيها في الآخر ففي تفسيرها للآية "والضحى " ترى أن الرأي السائد عند الأقدمين يحمل معنى التعظيم للمقسم به وهو الضحى ، مما أداهم إلى الاعتقاد بأن كل ما هو مقسم به في القرآن الكريم إنما الغرض منه التعظيم " والرأي السائد عند الأقدمين ، أن هذا القسم القرآني يحمل معنى التعظيم للمقسم به"[2]،على أن رؤيتها البيانية للقسم يخرج تماما عما ألفه المفسرون قديما إلى معنى بياني معنوي الغرض منه قوة "اللفت" " فالقسم بالواو في مثل و الضحى غالبا ، أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية وما يلمح فيه من الإعظام ، إنما يقصد به على قوة اللفت ... وحين نتبع أقسام القرآن في مثل آية الضحى ، نجدها لافتة إلى صورة مادية مدركة وواقع مشهود لتوطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة ، غير مشهودة ولا مدركة ."[3]

لم يكن الغرض من رفض آراء بعض الأقدمين في بعض مسائل التفسير هو في الأساس إلغاء التراث وتجاوزه ، كما في تفنيد بعض آراء الزمخشري والرازي ومحمد عبده ، وإنما جاء الاعتماد على الآراء لصياغة أفكار جديدة تتجاوز التمذهب والطائفية من جهة،وتتجاوز الصنعة النحوية والقواعد البلاغية وتسويتها من خلال تطويع النص وجره للقاعدة النحوية أو البلاغية،بل

[1] – في مقدمة الجزء الأول من التفسير البياني ص 16، أشارت بنت الشاطئ إلى عدد من كتب التفسير والدراسات الإسلامية والتي تناولت مختلف الدراسات في القرآن الكريم من مثل: الكشاف ، دلائل الإعجاز ، مجاز القرآن وغيرها وقد اعتمدت عليها في التفسير البياني رفضا أو قبولا .

[2] – المصدر نفسه، ص 24

[3] – المصدر نفسه ، ص 25

يجب الانطلاق من النص القرآني أساسا للفهم والتدبر حتى لو أدى ذلك إلى الخروج عن مألوف القواعد .

وهي بهذا التعامل مع القديم تطرح رؤية خاصة للتجديد بعيدا عن التصور العام الذي يخلص إلى نسخ القديم والتحول عنه فترى أنه " ليس حتما في المنهج العلمي ، أن يكون الجديد نسخا للقديم ، مجال التجديد يتسع لكل إضافة ، قد تكون بالنسخ أو التعديل وقد تكون كذلك بتصحيح الفهم لقديم لابسته شوائب دخيلة عليه أو تحرير مبادئ أسيئ فهمها أو أسيئ تطبيقها "[1]

هذا ما جعلها تعرض إلى أقوال المفسرين وآرائهم وتذكر العديد من المؤلفات المختصة بالدراسات القرآنية منذ القديم بأنواعها المختلفة ، واستعانت ببعضها عند التفسير ، وهذا العمل تأصيلي الغرض منه الإحاطة بالنص من كل الرؤى والزوايا حتى يأتي الجديد في آخر الأمر كما رأى الخولي في التجديد " أول التجديد قتل القديم فهما " .

4-أسباب النزول في " التفسير البياني ":

تذهب بنت الشاطئ إلى اعتبار سبب النزول مما يساعد على فهم ملابسات السورة والظروف التي أدت إلى نزولها ، على أن الاعتماد على السبب لا يعني بحال إهمال القاعدة " الغاية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " ، فهي لا تذهب بعيدا في الكشف عن الروايات في أسباب النزول ، ففي سورة "الضحى " مثلا وبعدما تعرض لأقوال المفسرين في سبب النزول على اتفاق بينهم في أن السبب واحد وهو إبطاء الوحي في أوائله على الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم

[1] – الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية ، بنت الشاطئ ، ص 169

وتباين فيمن قال أن محمد ودع رباه وقلاه ، فهي لا تلتفت إلى القائل التفات المفسرين وإطنابهم وتكتفي بالتأكيد على السبب الأساسي وهو إبطاء الوحي " ولا نرى أن نقف هنا على ما ورد في بعض كتب التفسير من تحديد سبب الإبطاء في الوحي كالذي ذكره الرازي والنيسابوري من أن اليهود سألوا النبي عن ثلاث مسائل : الروح ، وذي القرنين وأصحاب الكهف . فقال صلى الله عليه وسلم : سأخبركم غدا ولم يقل "إن شاء الله" أو أن الوحي أبطأ ، لأن جروا للحسن والحسين رضي الله عنهما كان في بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال جبريل: أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة"[1] ،وبعد استعراض لأقول المفسرين في سبب النزول تعود لترجح قولها استنادا إلى النص القرآني وسياقه المحكم فترى " أن فتور الوحي ظاهرة طبيعية شأنها شأن سجو الليل بعد إشراق الضحى ، وهذا يغنينا عن تقديم أسباب والتماس علل للإبطاء في الوحي ، لم يتعلق القرآن بذكرها ."[2]

وهي بهذا التعامل العقلاني لأسباب النزول تتفادى نقل الاختلافات في الماضي إلى الحاضر وتحاول بناء فكر جديد يتصل بالنص مباشرة ولا يغفل ما يلازمه من سبب النزول على أن يكون قرائن مما حول النص ، وليس هو والنص سيان .

5- البحث الدلالي للكلمة القرآنية في" التفسير البياني " :

من المسائل الهامة التي دافعت بنت الشاطئ عليها وأقامت منهجها البياني عليها مسالة "الترادف في اللغة " ، وقد أشرنا إليها في الفصل الثاني ونحاول في هذا الفصل أن نبين تطبيقاتها

[1]- التفسير البياني ، ص 35

[2]- المصدر نفسه ، ص 36

المنهجية للفكرة مما يقرب الرؤية ويفي بالغرض ففي معرض تفسيرها لسورة **الضحى** دائما،تقف على كلمة" **ضحى**" محاولة أن تعطي دلالتها في مقابل الدلالات التي وقف عليها قدامى المفسرين بين من اعتبر الضحى النهار كله ، ومنهم من عده ساعة منه .

وقبل أن تناقش بنت الشاطئ هذه الآراء في دلالة الكلمة انطلقت من قاعدة هامة وهي "إذا كان اللفظ لغة يحتمل أكثر من معنى على ما ذكروا في "**ضحى**" و"**سجا**" فإن البلاغة لا تجيز إلا معنى واحدا في المقام الواحد ، يقوم به لفظ بعينه لا يقوم به سواه "[1]، فالبلاغة تقيد اللفظ ولا تطلقه مراعية المقام في ذلك ، ولأن المنهج البياني يبحث قوة المقام من خلال اللفظ فهو لا يبتعد عن المعنى الواحد حتى لا يفقد الكلمة روحها وعمقها ، وإذا كانت اللغة تعرف الضحى" وقتا بعينه من النهار "[2] استنادا إلى ما ورد في " لسان العرب " وغيرها من كتب اللغة ، تنتقل بنت الشاطئ إلى استقراء الكلمة من القرآن الكريم وتتابع ورودها فيه،ففي الاستعمال القرآني نجد الضحى ذكر مقابلا للعشية في سورة النازعات{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْضُحَاهَا}[3]وفي سورة طه{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}[4]،وتستنتج من هذا الاستقراء أن ورود كلمة **الضحى** أريد به تخصيص وقت محدد من النهار وليس النهار كله ، مما يؤكد قولها بأن اللفظ بيانيا يراد به معنى واحدا لغاية تعزز المقام "،فـــ" المقسم به في آيتي الضحى صورة مادية وواقع حسي ، يشهد به الناس في كل يوم تألق الضوء في ضوحة النهار ، ثم فتور

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 29

[2] – المصدر نفسه ، ص29

[3] – سورة النازعات الآية 46

[4] – سورة طه الآية 59

الليل إذا سجا وسكن ... دون أن يخطر على بال أحد أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة بعد تألق الضوء في ضحى النهار فأي عجب في أن يجيء بعد أنس الوحي وتجلى نوره على المصطفى صلى الله عليه وسلم فترة سكون يفتر فيها الوحي على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق "[1]، وهي بهذا الملحظ البياني تعطي مفهوما دقيقا لورود كلمة "الضحى" في القسم وكيف كان اختيار الكلمة دقيقا لمقتضى الحال الذي كان يعيشه المصطفى صلى الله عليه وسلم في مرحلة إبطاء الوحي ، وبهذه الرؤية والتحليل تخرج بنت الشاطئ عن تفسير القدامى بالرغم من تعاملها معهم بروح نقديه كما أشرنا .

5-التأويلات في" التفسير البياني " :

تستبعد بنت الشاطئ التأويلات وبخاصة ما كان من الإشاريين وبعض المتصوفة ،والفرق الإسلامية ،وترى أن مثل هذا النوع من التفسير لا يخدم المنهج البياني ولا يخدم القرآن باعتباره أرقي نص بياني على وجه الأرض ، في سورة الضحى ترفض حمل كلمة الضحى على أن معناها وجه محمد صلى الله عليه وسلم ،والليل شعره تفسيرا لقوله تعالى {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}[2] أو أن الضحى هم" الذكور من أهل بيت النبي والليل إناثهم "[3] فإن مثل هذه التأويلات الإشارية لا يقبلها التفسير البياني للنص القرآني .

[1] – التفسير البياني، بنت الشاطئ ، ج01 ، ص 26

[2] – سورة الضحى ، الآية 1- 2

[3] – التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص 32

ومن جملة التأويلات التي تعارضها بنت الشاطئ هو تفسير القدامى قوله تعالى{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى}[1]، فتقف عند تأويل الرازي لـــ "اليتم" و"الإيواء" بمعنى " ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآوى أي جعل لك من تأوي إليه وهو أبو طالب "[2] ثم ترد على هذا التأويل بعد أن تستقرئ نصوص القرآن وتحصي عدد ذكر الله لليتم مفردا ومثنى وجمعا فيما تعداده ثلاث وعشرين مرة وكلها "بمعنى اليتم هو فقدان الأب "[3].

ومن هذا الاستقراء القرآني تستقر على تفسير اليتم بمعناه العادي البسيط ، فقد ولد محمد صلى الله عليه وسلم يتيما ثم تضاعف يتمه بموت أمه وجده ، ثم نجاه الله من آثار هذا اليتم والتي هي الدع والقهر والانكسار والجور مما كان مظنة أن يكسر نفسه " فذلك هو قوله تعالى " ألم يجدك يتيما فآوى" ترشيحا بهذا الإيواء الإلهي غير مقيد بمتعلق إلى ما بعده من نعمة الهداية بعد حيرة وضلال وتهيئة لحمل الرسالة "[4].

فتحميل النص ما لا يحتمل من التأويل يخرجه عن الذوق البياني الذي أوجد له ، ألا يكفي أن يعيش الإنسان اليتم من أبويه ثم ممن كفله أليس هذا وحده كافيا أن يبرز صعوبة الموقف لإنسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم ليجد من الله الإيواء والهداية – بمعنى التوجيه – إلى ما يكسر أجواء الغبن والحيرة دونما حاجة أن يختص اليتم له وحده ولا يشاركه فيه أحد ، فكم من يتيم أتيح له ما أتيح للنبي الأعظم في اليتم ، وعاش غير آبه بوالديه أكانوا أحياء أم أمواتا ، فليس

---

[1]- سورة الضحى ، الآية 6- 7

[2]- التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص 42

[3] - المصدر نفسه ، ص43

[4] - المصدر نفسه، ص 43

اليتم وحده الذي يعطي للنبي شرف النبوة ورسالته الإنسانية ، فمحمد صلى الله عليه وسلم أكبر من أن يوجه اليتم مسار حياته وهدفه الذي أوجده الله لأجله ، كما أن اليتم ليس ميزة نحدد بها ما هو صالح ممن هو غير ذلك.

ومن أخطر التأويلات التي مست شخص النبي وعصمته تلك التي تذهب إلى تفسير"**الضلال** " في قوله تعالى { وَوَجَدَكَ **ضَالّاً** فَهَدَى}[1]بمعنى الكفر ، فقد ذكرت بنت الشاطئ أن من المفسرين من قالوا في آية الضحى " أن الضلال هنا هو الكفر ذكره الرازي معزوا إلى الكلبي والسدي ومقاتل بمعنى أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان على أمر قومه أربعين سنة "[2] ثم ترد بنت الشاطئ غير آبهة بهذا التأويل " وما بنا حاجة إلى مثل هذه التأويلات ، وما ذكرناه منها وما لم نذكره ، بل يكفي أن الاستعمال القرآني لا يلتزم دائما هذا المعنى الاصطلاحي ، وإنما لوحظ فيه الاصطلاح اللغوي من ضلال الطريق أو عدم الاهتداء إلى الصواب "[3] .

وتعود إلى تتبع دلالة الكلمة في القرآن الكريم ففي قول إخوة يوسف لأبيهم {قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ }[4]،وقالوا{ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ }[5] فـــ"ليس الضلال هنا كفرا وإنما هو الشغف ليوسف "[6]، وقول النسوة في امرأة العزيز {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا

---

[1] – سورة الضحى ، الآية 07

[2] – التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص44

[3]– المصدر نفسه، ص 45

[4]– سورة يوسف الآية 95

[5]– سورة يوسف الآية 08

[6]– التفسير البياني ، ص 45

فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }[1]، فهذه الآيات وغيرها ليس فيها شيء مما يحمل أن الضلال بمعناه الاصطلاحي و هو الكفر ،وتختم بنت الشاطئ في ردها على التأويلات " "فالاحتكام إلى القرآن الكريم نفسه يعفينا من التزام المصطلح في لفظ الضلال بمعنى الكفر وهو يعفينا أيضا من تلك التأويلات التي تكلفوها في تفسير الآية لينفوا الكفر عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث"[2].

7- الصنعة الإعرابية في " التفسير البياني ":

من الخصائص الهامة في المنهج البياني والمنهج الأدبي في التفسير عموما،أنه لا يلتفت إلى الصنعة الإعرابية والبلاغية إلا في المستوى الذي يراعى فيه السياق ويخدم التصوير الفني كما أشرنا إلى مسائل التعقيد في البلاغة العربية في الفصل الأول ،والمنهج البياني بهذه الخاصية يتحرر من قيد اللفظ أو الجملة والتي هي مدار الدراسات النحوية والبلاغية " قد وضع القدماء هذه البلاغة في قسم المركبات من العلوم الأدبية وقصروها على دراسة الجملة وأجزائها فحسب ، لا ترى من أبحاثها شيئا يزيد على ذلك .. والعمل الأدبي ليس في الجملة وجزئها لا غير فتلك لا تعطي إلا معنى أدبيا جزئيا "[3]،ومن هذا المنطلق تذهب بنت الشاطئ إلى اعتبار بعض التفاسير لبعض الآيات فيها جور نحوي وبلاغي لا يخدم البيان الأعلى ألا وهو القرآن الكريم ،ففي قوله تعالى{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى }[4] ترى أن المفسرين ركزوا في تفسير "**اللام**" المتصلة بسوف على الصنعة

---

[1] - سورة يوسف الآية 30

[2]- التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ص 46

[3]- دائرة المعارف ، "مادة بلاغة" ، أمين الخولي ، المجلد 07 ، ص 536

[4]- سورة الضحى ، الآية 05

النحوية وحكموا الآية إلى قواعد نحوية، فالقاعدة النحوية عندهم " أن اللام في سوف إن كانت للقسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ،و إن كانت اللام للابتداء فإنها لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر "[1]، مما جرهم إلى التكلف والاحتيال جريا لتسوية الصنعة الإعرابية ودخلوا في تقديرات الجملة عندما لم يجدوا مخرجا مطابقا للقاعدة ،كرأي الزمخشري في الآية " أنه لا بد من تقدير مبتدأ محذوف ، وان يكون أصل العبارة ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى "[2]

وترد بنت الشاطئ وهي ترى الصنعة الاعرابية ظلمت البيان القرآني وكان "يكفي أن يأتي التعبير في الكتاب العربي المبين ، ليكون هو الشاهد والحجة والأصل الذي تعرض عليه كل قاعدة لغوية أو بلاغية ، لا أن نحكم فيه قواعد النحويين والبلاغيين في دراستهم للعربية علما وصنعة "[3]

فبموازنة بسيطة بين التعبير القرآني " ولسوف يعطيك ربك فترضى " وبين التأويل المقدر الذي قال عنه الزمخشري أنه هو الأصل " ولأنت سوف يعطيك "،يتضح مدى أصالة البيان القرآني وعمقه وانسيابه على اللسان أمام تأول تشتم فيه الصنعة والتكلف ،ويشرد الذهن فيه باحثا عن المبتدأ وخبره وعن اللام هل للتوكيد أو للابتداء ، ويغيب الذوق الأدبي الذي يختزن المعنى الكبير في اللمحة .

8- الإسرائيليات في " التفسير البياني" :

كثيرة هي الإسرائيليات التي تناولها المفسرون و بنوا عليها فهمهم للنص القرآني وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الثاني من هذا البحث ونريد أن نوضح في هذا الفصل أن التفسير البياني لبنت

---

[1] – التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ج01 ، ص40

[2] – المصدر نفسه، ص 40

[3] – المصدر نفسه، ص 45

الشاطئ غيب تماما الإسرائيليات ، بدافع أن صاحبة هذا المنهج قد فصلت القول في دراسات لها سابقة[1] ، وأبانت على أن من مهام منهجها وقوامه أنه يتجنب الخوض في الإسرائيليات في التفسير وتعتبرها أضرت النص القرآني أكثر مما خدمته ،وهي بهذا المبدأ لا تخرج عما أثاره أستاذها الخولي في تقديمه لمادة "التفسير" في دائرة المعارف ، موضحا هذه الظاهرة " وجاءت البيئة العربية الإسلامية من كل هذا المزيج ما جاء إلى جانب ما بعثت إليها الديانات الأخرى التي دخلت تلك الجزيرة ، وألقت إلى أهلها ما ألقت من خبر أو قصص ديني ، وكل أولئك قد تردد على آذان قارئ القرآن ومتفهمه ، قبلما خرجوا إلى ما حول جزيرتهم شرقا وغربا فاتحين ، ثم ملأت آذانهم حين خالطوا أصحاب تلك البلاد التي نزلوا وعاشوا بها ... فدعت تلك التزيدات التي اتصلت بمرويات التفسير النقلي باسم الإسرائيليات "[2] ، مما يؤكد القول بأن أصحاب مدرسة التفسير الأدبي من الخولي إلى بنت الشاطئ لا يعتبرون بالإسرائيليات كأحد معالم التفسير ، وأن المنهج عندهم من أهم مهامه هو خلاص التفسير النقلي من هذه الظاهرة التي عششت عبر مراحل طويلة في التفسير بصورة عكست كثيرا من حالات التفكير الخرافي ، خصوصا ما يشهده التطور الجديد في الفكر الإسلامي مما يقتضي " تعديل منهج التفسير القديم تعديلا ، يناسب في روية وحكمة مقتضيات الفكر الحديث "[3]، ومثل هذا التعديل هو ما يعكف عليه المنهج البياني وتطبيقاته مع ما كتبت بنت الشاطئ .

[1] – ينظر تفصيل الإسرائيليات كتابها " القرآن وقضايا الإنسان " ص 299 وما بعدها

[2] – دائرة المعارف "مادة تفسير" ، أمين الخولي ، ص 414

[3] – الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ،ص 57

نلمس لها في حديثها عن الإسرائيليات أنها لم تتطرق لها إلا حين بدأت بتفسير سورة القلم ذاكرة اختلاف المفسرين حول معنى الحرف "ن" ومن بين ما ذكرته " وقيل هي من حساب الجمل وهذا من إسرائيليات " حي بن أخطب اليهودي " "[1] وأوردت الرواية كاملة كما هي في كتب التفاسير القديمة ، و لم تعلق عليها ، وفي اعتقادنا أنها أوردتها من باب الاستئناس لا غير .

[1]- التفسير البياني ، بنت الشاطئ ، ج02 ، ص 31

المبحث الثاني :نماذج تطبيقية من خلال " الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق "

1- التعريف بالكتاب :

هو خلاصة ما خاضته الباحثة في مجالات الدراسات القرآنية ، وبخاصة البحث اللغوي والبياني وهي أستاذة التفسير وعلوم القرآن في جامعة القرويين بالمغرب،وأما الذي استثار عند المؤلفة دوافع البحث هو إعجاز القرآن البياني الذي تحدى به أولئك العرب الأصلاء بأن يأتوا بسورة من مثله وكانت قمة التحدي ، وتذكر دافعها للبحث في مقدمة الكتاب " فأثناء اشتغالي بالتفسير البياني والدراسات القرآنية ، تجلى لي من أسراره الباهرة ما لفتني إلى موقف العرب من المعجزة القرآنية في عصر المبعث ، ووجهني إلى محاولة منهجية في فهم عجزهم عن الإتيان من مثل هذا القرآن وقد تحداهم أن يفعلوا والعربية لغته ولغتهم والبيان طوع ألسنتهم "[1]

والكتاب يتألف من جزأين :

- الجزء الأول اشتمل على 286 صفحة تناولت الباحثة فيه :

* مدخل : الإعجاز البياني

* مبحث أول : وجوه الإعجاز والبيان القرآني ، البلاغيون والإعجاز

* مبحث ثاني : دراسة إستقرائية

- فاتح السور ، وسر الحرف

- دلالات الألفاظ ، وسر الكلمة

- الأسلوب وسر التعبير

[1]- مقدمة الإعجاز البياني للقرآن ومسائل أبن الأزرق ، بنت الشاطئ ، ص 11

– الجزء الثاني من صفحة 287 الى صفحة 603 تناولت فيه الباحثة مسائل ابن الأزرق نص ودراسة ،تجنبنا التطرق إليه لأن هذه المسائل عرضت في كتب الأسبقين[1]ونالت نصيبا من البحث .

2– مدخل الإعجاز البياني :

تناولت بنت الشاطئ فيه قراءة تاريخية لتطور الإعجاز في القرن الثالث الهجري حيث كانت البيئة الإسلامية تموج بالقول في الإعجاز،أخذت شكلا حادا ومميزا في صراع الفرق الإسلامية الكلامية ، فبات القول بالإعجاز والاستدلال به من الوسائل التي تعزز وتقوى رأي كل فرقة " و لم تنفرد قضية الإعجاز في أول الأمر بالبحث والنظر ، وإنما عولجت مع غيرها من القضايا التي نشط فيها الكلام وتجادل الفرق وبخاصة تلك التي تتصل بالنبوة والمعجزة كالذي في "تأويل مشكل القرآن " لابن قتيبة و" مقالات الإسلاميين " لأبي الحسن الأشعري و" حجج النبوة "للجاحظ ..."[2] ، وتذهب بنت الشاطئ إلى أن قضية الإعجاز لم تلبث أن استقلت بالتأليف المفرد عبر كتب ظهرت في القرن الثالث الهجري تحمل في الغالب عناوين مستقلة عن علم الكلام كـــ" نظم القرآن" للجاحظ الذي لم يصل إلينا وإنما أشار إليه الباقلاني في كتابه"إعجاز القرآن " "[3]

حتى إذا كان القرن الرابع الهجري استقرت الدراسات الباحثة في سر البلاغة القرآنية و"قدم هذا القرن الرابع رصيده واختار عنوان "إعجاز القرآن " الذي غلب على الرسائل من تصدوا للتأليف من أعلام هذا القرن من مثل " النكت في إعجاز القرآن " لأبي الحسن علي بن عيسى

---

[1] – أوردها المبرد في كتابه" الكامل في اللغة والأدب" في سياق كلامه عن نافع ابن الأزرق الخارجي ، ج03 ، ص 158 ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، لبنان ط 2004 م

[2] – الإعجاز البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ص19

[3] – المصدر نفسه، ص 20

الرماني (ت384 هـــ) ، "بيان إعجاز القرآن " لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت386 هـــ) و "إعجاز القرآن " لأبي بكر الباقلاني (ت403 هـــ) "[1]، لتبدأ بعدها بمعالجة ما طرحه هؤلاء حول قضية الإعجاز وخاصة الباقلاني الذي فصل القول فيه،وظن أن من سبقه من الأولين قصروا عن البيان فيه ، ليظهر الإمام الجرجاني في القرن الخامس وعرض للإعجاز أيضا كأن لم يعرض له من قبل في كتابه "دلائل الإعجاز "، وتستمر بنت الشاطئ في هذا المدخل في متابعة تاريخية تحليلية حتى تصل إلى من كتبوا فيه في العصر الحديث من محمد عبده في تفسيره وقد أفرد فصلا للإعجاز وهو كغيره ممن سبقوه ينكر على الآخرين أنهم لم " يوفوا حقه على كثرة ما أبدوا فيها وأعادوا "[2] ثم تمر على مصطفى صادق الرافعي الذي بحث في المكتبة القرآنية فلم ير فيه كل شيء ذا بال وراح يحمل كذلك على القدامى ممن كتبوا في الإعجاز، ووجد أن القوم من علمائنا – رحمهم الله – قد أكثروا من الكلام في إعجاز القرآن وجاؤوا بقبائل من الرأي لونوا فيها مذاهبهم ألوانا مختلفات وغير مختلفات بيد أنهم يمرون في ذلك عرضا على غير طريق "[3] ، وبعد استقرائها للتطور التاريخي ومرورها عل تآليف الأعلام تعود إلى القول :" لعل من إعجاز القرآن أن تضل الأجيال تتوارد عليه جيلا بعد جيل وهو رحب المدى سخي المورد ، كلما حسب جيل أنه بلغ منه مبلغا امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح وفوق كل طاقة "[4] ، ونعتقد أن الباحثة كانت موفقة إلى حد بعيد في مدخلها هذا إن على مستوى التسلسل التاريخي لتطور الإعجاز الذي يسبق

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 22

[2] – المصدر نفسه ، ص 29

[3] – المصدر نفسه ، ص 30

[4] – المصدر نفسه ، ص34

عادة كل بحث أصيل متجدد ، وإن على مستوى إيجاد مبرر لخوض القول في الإعجاز بما تفهمه وتستقرؤه هي ، وكأنها تهيئ القارئ الذي سيرافقها في البحث والقراءة على أنها ليست الأولى التي تنتقد القدامى وترد ، ولكن القدامى أنفسهم بدؤوا القول في الإعجاز من حيث نقضوا من سبقوهم ، وبهذا المبرر لا تتحرج الباحثة إن هي خاضت ما خاضوا بل والجديد اللافت للانتباه في منهجها تلك المحاورة الهادئة مع القدامى والتي نجدها في كل الكتب التي تتناول الدراسات القرآنية كما أشرنا إليها في المبحث السابق في تفسيرها البياني ،وما تلك المحاورة النقدية إلا تعبير عن الجديد الذي تحاول بناؤه من خلال القديم ،كما تعبر المحاورة عن تواضع الباحثة التي تقدم رأي القدامى على رأيها وتثبته حتى ولو كان لا يروقها، لنلاحظ كيف تتقدم إلى البحث بهذه العبارات " ومع إدراكي أن الإعجاز البياني للقرآن يفوت كل محاولة وجهد،أتقدم في خشوع إلى الميدان الجليل فأضع إلى جانب محاولات السلف الصالح ،ما هدى إليه عكوفي الطويل على تدبر كلمات الله، من وجه في هذا الإعجاز، {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[1] "[2].

3- مفهـــوم الإعجـــاز عند بنت الشاطئ :

الجديد في تناول قضية الإعجاز،أن الباحثة لم تأت بتتبع المصطلح والبحث فيه من جهة اللغة والاصطلاح ،ولم يعنيها المفهوم الذي غالبا ما تتنازعه الأذواق المذهبية والطائفية ويكفي ظهوره في بيئة المتكلمين دليلا على أنه سوف يصطدم بتلك البيئة،وهذا ما يعمل المنهج البياني على

[1]- سورة الحشر الآية 21

[2]- الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص35

تجنبه ،وبنت الشاطئ وقفت على الإعجاز مما يستنطقه النص القرآني باعتباره المرجع الأصيل الذي يعلو ولا يعلى عليه، ومما حول النص القرآني من تاريخ العرب وثقافته الشعرية والبيانية فاستعرضت مشاهد تاريخية أثناء البعثة ،أوضحت فيها كيف أن القرآن أثر ببيانه على شخصيات عربية في الجاهلية ،كما ورد في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي توردها بنت الشاطئ كاملة،لتعود من تأريخ المراحل الأولى للبعثة ومعها مراحل الأولى لنزول القرآن ،ومناقشة كل ما علق باتهام القرآن بالشعر، لتخلص إلى " أن عجز البلغاء من العصر الأول عن معارضة القرآن وفيهم أصل الفصاحة برهان قاطع في قضية التحدي،فحين نقول أنها حسمت في عصر المبعث ،فلا يمكن بحال ما أن يحمل القول على مظنة اختصاص إعجازه بعصر المبعث دون سائر الأعصار، وإنما معناه أن منهم أصل العربية لغة القرآن هم الذين يفترض أن يواجهوا بالتحدي لما يملكون من أسرار لغتهم التي نزل بها الكتاب العربي المبين،فاختصاصهم بالتحدي جاء من كونهم أهل الاختصاص بالعربية لغة القرآن وقد حسمها عجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله[1] "[2] ، حتى أن واحدا من أكبر المستشرقين المنصفين وهو الأستاذ "جيب " قال عن ألفاظ القرآن كلاما لا يختلف عما عبر عنه "الوليد بن المغيرة " آنذاك كما في الآية {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ }[3]

[1]- ينظر الآية 23 من سورة البقرة "{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

[2] -الإعجاز البياني ،بنت الشاطئ ، ص78

[3]- سورة المدثر ، الآية 24

قال :" إنها تحدث صدى ويتردد صداها في العقل ، وتفتح منظورات طويلة للبصيرة وتخلق في الروح سموا يحلق بمنأى عن عالم المادة وينور جنباتها بفيض فجائي من الشعاع "[1]،وبهذا الفهم الطبائعي للفظ القرآن كان إعجازه البياني . وبنت الشاطئ تجتنب الدخول في المفاهيم الاصطلاحية وتؤكد مسبقا حقيقة بارزة في تاريخ الإعجاز التي لا يختلف فيها اثنان وهي" إعجاز القرآن البلاغي لم يكن قط موضع جدل أو خلاف ... وإنما كان الجدل بين الفرق الإسلامية في اعتبار الوجه في الإعجاز أو القول معه بوجوه أخرى"[2] .

4- السر البياني في القرآن :

هذا الإجماع الحاصل إذن من إعجاز البيان القرآني هو الذي نقل القضية إلى الميدان البلاغي بعيدا عن السجال الكلامي المذهبي ،وهو الذي ستنتقل معه بنت الشاطئ إلى البحث عن السر البياني في القرآن من خلال محاور ثلاث:

أ- فواتح السور وسر الحرف : تقول بنت الشاطئ "ما من حرف في القرآن الكريم تأولوه زائدا أو قدروه محذوفا أو فسروه بحرف آخر لا يتحدى سره البياني كل محاولة لتأويله على غير الوجه الذي جاء به البيان المعجز " [3] ،والخطابي سبق أن التفت إلى لمح الإعجاز في اللفظ في مكانه بحيث إذا استبدل فسد معناه أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة ،" ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني ، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ، كالعلم والمعرفة

[1] - دراسات في حضارة الإسلام ، هاملتون جيب ، ترجمة إحسان عباس ومحمد نجم ومحمود زايد ص 256 مؤسسة فرانكلين ، بيروت ، لبنان 1964 م

[2] - المصدر نفسه، ص82

[3] - المصدر نفسه، ص139

والحمد والشكر ، والبخل والشح ... وبلى ونعم ، أو ذلك وذاك ، ومن وعن ، ونحوهما من الأسماء والأفعال ، والحروف والصفات .. والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك "[1] ،وهي نفس الفكرة التي اتفقت بنت الشاطئ معه فيها ،واختلفت معه في "إدراك مغزاها ولمح أبعادها وطرق الاحتجاج لها والاستدلال عليها "[2]، ومن هذا المنعطف الذي تفترق الباحثة مع الخطابي تبدأ البحث في سر الحروف المقطعة في أوائل السور[3] بنظرة مغايرة تماما،فبعد أن تعرض الآراء المتباينة في معاني الحروف المقطعة في أوائل السور لدى جملة من المفسرين والعلماء بين من يعدها حروفا يتألف منها اسم الله الأعظم[4] ، وبين من عدها مفاتيح لأسماء الله ودوال لها وبين من قال بأنها أسماء السور التي افتتحت بها[5]،وبعد أن تناقش كل الآراء تستقر في الآخر على رأي مقبول قال به الإمام الطبري والزمخشري وابن كثير[6] " وأمعن النظر فيها بمزيد تدبر ، لعل اجتلي منها ما أضيفه إلى ما قاله السلف الصالح في مجيء الفواتح بهذه الحروف التي بنا عليها العرب منها كلامهم بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثله ، مع أنه مركب من الحروف

---

[1]- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الخطابي ، ص 29

[2] - المصدر نفسه، ص 140

[3]- السور المكية المستهلة بالفواتح ، هي على المشهور في ترتيب النزول : القلم (ن) ، ص، الأعراف (المص) ، يس ، مريم (كهيعص) ، طه ، الشعراء (طسم) ، النمل (طس) ، القصص (طسم) ، يونس وهود ويوسف والحجر (الر) ، لقمان (الم) ، غافرو فصلت (حم) ، الشورى (حم عسق) ، الزخرف والدخان والجاثية و الأحقاف (حم) ، إبراهيم (الر) ، السجدة والروم والعنكبوت (الم) والسور المدنية هي : البقرة وآل عمران (الم) ، الرعد (المر)

[4]- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر ، محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب القصير ، ج01 ، ص 47 ، المطبعة العلمية ، النجف ، العراق 1957 م ،

[5]- المصدر نفسه، ص 47

[6]- ينظر "تفسير القرآن الكريم " أبو الفدا إسماعيل بن كثير ج01 ص36 ، دار الجيل ، ط01 ، بيروت ، لبنان 1988 م

التي يتكلمون بها "[1] ،لكن يبقى سر إعجاز الحرف معلقا إلى غاية هذه الفكرة فما وجه الإعجاز البياني في هذه الحروف التي جاءت في أول السور و لم تأت في مواضع أخر ؟ .

تجيب بنت الشاطئ على هذا السؤال والذي يؤهلها إن هي فكت ألغازه أن تعطي الجديد في منهجها البياني ، بتفسيرها لسورة " القلم " { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }[2]، فمجيء الحرف في سورة القلم المكية والتي نزلت مباشرة بعد سورة "اقرأ" فيه لفت واضح إلى سر الحرف في البيان المعجز،خصوصا وأن في السورة جدل من المشركين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم،وادعاء منهم أن ما جاء به أساطير الأولين ،أي ما سطره اليهود والنصارى " فكأن هذا تمهيد للمعاجزة التي تتحداهم أن يأتوا بمثله ، واستدراجهم إلى أن تلزمهم الحجة ، بأن يعرضوه على ما عرفوا من أساطير الأولين ، وإن كلماته لمن الحروف التي عرفوها في عربيتهم ، لغة الكتاب العربي المبين"[3] ، فهذا الحرف الذي ينطلق به اللسان لا يكاد يخرج مجرد صوت بلا معنى ولا دلالة ، فإذا أخذ موضعه من الكلمة في البيان انكشف سره العظيم فإذا الحرف حرف العرب وإذا الكلمة كلمتهم .

واللافت في القرآن الكريم أنه يستمر في عرض الحروف المقطعة في جملة من السور وخاصة المكية منها : ق ، ص ، الأعراف (المص) ، يس ، مريم (كهيعص) ،طه ، الشعراء (طسم)،...

---

[1]- ثلاث رسائل في إعجاز القرآني ، الخطابي ، ص 157

[2] - سورة القلم الآية 1-7

[3]- التفسير البياني للقرآن ، بنت الشاطئ ، ج02 ، ص42

وهو في كل هذا العرض ، يلفتهم إلى سر الحرف " لعلهم بما يدركون من إعجاز بيانه يكفون عن جدل فيه ، فلما أصروا على عنادهم اتجه إلى صريح التحدي والمعاجزة إلزاما لهم بالحجة "[1].

وتخلص بنت الشاطئ بعد استقراء لكامل السور التي وردت فيها الحروف إلى :

– أنها بدأت من أوائل الوحي في سورة " القلم" لافتة إلى سر الحرف ، ثم كثرت وتتابعت في أواسط العهد المكي من سورة "ق" وسورة "القصص" حين بلغ الجدل في القرآن أشده ،فعرضت قضية التحدي وظلت الآيات تعاجزهم وتتحداهم أن يأتوا بمثله أو سورة منه إلى العهد المدني الذي نزلت فيه آية البقرة، فحسمت الجدل العقيم بعد أن لزمتهم الحجة على صدق المعجزة بعجزهم مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله،وهنا دلالة استمرارية الإعجاز بالحرف يتطور ويتضح حتى انكشف في السورة .

– أكثر السور التي بدأت بالفواتح، نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والشعر و الكهانة، فواجههم القرآن بالتحدي .

ب – دلالات الألفاظ وسر الكلمة: قد سبق الإشارة في الفصل الثاني إلى قضية " الترادف " في اللغة العربية، ووضحنا موقف بنت الشاطئ فيه مما لا مجال لأن نضيفه هنا، ونبحث مع بنت الشاطئ دلالة الكلمة القرآنية تطبيقا لنعزز به ما أشرنا إليه سابقا.

لقد وازنت الباحثة بين ألفاظ في القرآن الكريم تبدو للوهلة الأولى متفقة المعنى ، ولكن بعد دراسة هذه الألفاظ في سياقها القرآني اتضحت فروق معنوية دقيقة ، مما أداها إلى الاستنتاج بأن

[1] – الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ص 162

القرآن "يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يؤديها لفظ آخر في المعنى الذي تحشد له المعجم وكتب التفسير عددا قل أو كثر من الألفاظ "[1].

* **الرؤيا والحلم** : يقول الله تعالى على لسان العزيز" يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"[2] ، فالمعاجم تفسر الحلم بالرؤيا[3] ، تستقرئ بنت الشاطئ مواضع ورود اللفظين في القرآن الكريم " فلا يترادفان "[4] ، استعمل القرآن الكريم " الأحلام " ثلاث مرات ، يظهر دائما سياقها بأنها الأضغاث المهوشة ، والهواجس المختلفة ، وجاءت في المواضع الثلاث بصيغ الجمع ، دلالة على الخلط الذي يصاحب الأحلام حيث يصعب معه التمييز ، والمواضع الثلاث هي : " بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ **أَحْلاَمٍ** بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ "[5] " قَالُواْ أَضْغَاثُ **أَحْلاَمٍ** وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ **الأَحْلاَمِ** بِعَالِمِينَ "[6] ، وهي تعبير على لسان قوم العزيز حين سألهم أن يؤولوا رؤياه .

و أما الرؤيا فجاءت في القرآن الكريم سبع مرات كلها في الرؤيا الصادقة ولا يستعملها القرآن إلا بصيغة المفرد " دلالة على التمييز والوضوح والصفاء "[7] ، خمسة منها جاءت مختصة بالأنبياء وصدق رؤياهم والمواضع الخمس هي:

---

[1]- الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص 215

[2]- سورة يوسف الآية 43-44

[3] - القاموس المحيط ج01 ،ص 558

[4]- الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص 215

[5]-سورة الأنبياء الآية 05

[6]- سورة يوسف الآية 44

[7] - الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص 215

– " وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ **الرُّؤْيَا** إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"[1]، رؤيا إبراهيم عليه السلام .

– ورؤيا سيدنا يوسف عليه السلام حين نبهه أبوه أن لا يخبر بها {قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ **رُؤْيَاكَ** عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[2] ، فإذا تحققت وصدقت يستمر السياق في السورة مستخدما كلمة – الرؤيا – في موضع التحقيق " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـــذَا تَأْوِيلُ **رُؤْيَايَ** مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ "[3].

– ورؤيا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا **الرُّؤْيَا** الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً }[4]، وكذا رؤياه في الفتح {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ **الرُّؤْيَا** بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً }[5].

– ويبقى ذكر الرؤيا في موضعين خاصين برؤيا العزيز وقد صدقت ، ونلمس في التعبير القرآني أنه يذكر الرؤيا على لسان الملك "لأنها كانت واضحة لديه وصافية ، وقد بدت للملإ هواجس

---

[1] – سورة الصافات الآية 104-105

[2] – سورة يوسف الآية 05

[3] – سورة يوسف الآية 100

[4] – سورة الإسراء الآية 60

[5] – سورة الفتح الآية 27

وأضغات أحلام " فجاءت لفظة أحلام على لسان الملإ و لم تأت رؤيا " وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي **رُؤْيَايَ** إِن كُنتُمْ **لِلرُّؤْيَا** تَعْبُرُونَ قَالُواْ أَضْغَاثُ **أَحْلاَمٍ** وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ **الأَحْلاَمِ** بِعَالِمِينَ"[1].

* **النأي والبعد:** معظم المعجميين والمفسرين متفقين على أن النأي هو بمعنى البعد [2]، لكن بنت الشاطئ ترى أنهما لا يترادفان في استقرائها مواضع استعمالهما في القرآن الكريم ، **فالنأي** يأتي "بمعنى الإعراض والإشاحة والصد والإشاحة "[3] بصريح السياق في آياته {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً }[4]والآية {حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }[5]، وأما **البعد** ، فيأتي بمختلف صيغه في القرآن الكريم " على الحقيقة أو المجاز في البعد المكاني أو الزماني ، المادي منهما أو المعنوي "[6] كما في الآيات التالية :{لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَّتَّبَعُوكَ وَلَـــكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ"[7]،{حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ }[8]، {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن

---

[1] – سورة يوسف الآية 43

[2]– القاموس المحيط ج01 ، ص1732

[3]– الإعجاز البياني ،بنت الشاطئ ، ص 218

[4] – سورة الإسراء ، الآية 83

[5] – سورة الأنعام ، الآية 25-26

[6]– الإعجاز البياني ،بنت الشاطئ ، ص 219

[7] – سورة التوبة ، الآية 42

[8] – سورة الزخرف ، الآية 38

سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ }[1]{فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ }[2]{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بعيدا ونراه قَرِيباً}[3] وكلها في البعد المكاني أو الزماني ، كما جاء "البعد نقيضا للقرب في لعنة الطرد "[4]{كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ }[5]، كما جاءت في المعنويات{ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ }[6]،{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ }[7] ، و" البعد فيها جميعا نقيض القرب على حين يخلص النأي للصد والإعراض ، نقيض الإقبال"[8].

ج – الأساليب وسر التعبير (السياق) :

* الاستغناء عن الفاعل: تذكر بنت الشاطئ أن ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في البيان القرآني، جاء في معرض ذكره مشاهد القيامة لسبب بياني ، قد غاب عن الدارسين الذين تتبعوا الظاهرة فقط في مجالها النحوي تبعا لما تقتضيه الصنعة ، على أن الموضوع له مجاله الأصيل في البلاغة " التي تدرسه في علم آخر هو علم المعاني التي انفصلت عن الإعراب ... وهو في الأصل مناط المعنى ، كما

[1]– سورة آل عمران ، الآية 30
[2]– سورة الأنبياء ، الآية 109
[3]– سورة المعارج ، الآية 6-7
[4]– الإعجاز البياني ،بنت الشاطئ ، ص 219
[5]– سورة هود ، الآية 95
[6]– سورة البقرة ، الآية 176
[7] – سورة إبراهيم ، الآية 03
[8]– الإعجاز البياني ،بنت الشاطئ ،ص 220

تدرس في علم البيان إسناد الفعل إلى غير فاعله على سبيل المجاز "[1]، ومن الأمثلة التي توقفت عندها بنت الشاطئ ولاحظت خصائصها الفنية ، قسمتها إلى ثلاث ظواهر :

* الإستغناء عن الفاعل بالبناء للمجهول :

{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً }[2]

{يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً}[3]

{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً }[4]

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى }[5]

وكلها مبنية للفعل المجهول الماضي منها والمضارع

* الاستغناء عن الفاعل بإسناده إلى غير فاعله، مطاوعة أو مجازا

{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ }[6]

{فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ }[7]

{إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ }[8]

{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا }[9]

---

[1] – نفس المصدر ، ص 140

[2] – سورة الحاقة ، ألآية 13

[3] – سورة النبأ ، الآية 18-19

[4] – سورة الفجر ، الآية 21

[5] – سورة الفجر ، الآية 23

[6] – سورة القمر ، الآية 01

[7] – سورة الرحمن ، الآية 37

[8] – سورة الانفطار ، الآية 1-2

[9] – سورة الزلزلة ، الآية 01

فالبلاغيون يقولون في حذف الفاعل" أنه يحذف للعلم أو الجهل به أو الخوف منه أوعليه "[1] "[1] على أن الملحظ البياني التي لمسته بنت الشاطئ في البناء للمجهول والمطاوعة والإسناد المجازي كلها تلتقي في الاستغناء عن ذكر الفاعل " فبناء الفعل للمجهول تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه ، والمطاعة فيها بيان للطوعية التي يتم بها الحدث تلقائيا أو على وجه التسخير وكأنه ليس في حاجة إلى فاعل والإسناد المجازي يعطي المسند إليه فاعلية محققة يستغنى بها عن ذكر الفاعل الأصلي "[2] ، ونفس هذا المدرك سنجده عند الزمخشري في "كشافه" في موضع حديث الأرض الوارد في قوله تعالى {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا }[3]، فـــ" التحديث مجاز عن أحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث "[4]، لكن الزمخشري لم يوضح الإسناد هنا إلى غير الفاعل الحقيقي ، و الغاية التي تم فيها هذا الإسناد لما فيه من تصوير مشاهد القيامة المثيرة وإبانتها

بهيئة ناطقة ، تنبيها للضمائر وتوجيها للعقول وتأثيرا على النفوس حتى تستعد لذلك اليوم المشهود.

د- السجع ورعاية الفواصل : كان الخلاف في الفواصل القرآنية شغل السلف ، هل هي من قبيل ما يعرف بالسجع ، كما في فنون البديع أم هي شيء آخر ؟ ومنذ بداية التأليف في الدراسات القرآنية والبلاغية ، عولجت القضية عند الأعلام الأوائل من أمثال أبو عبيدة معمر بن المثنى والفراء لكنها لم تستقل بالبحث مفردة إلا بعد أن عقد الباقلاني لها فصلا في كتابه "إعجاز القرآن" " نفى

---

[1]- الإعجاز البياني ،بنت الشاطئ ، ص 242

[2]- المصدر نفسه، ص 243

[3]- سورة الزلزلة ، الآية 04

[4]- الكشاف ، الزمخشري ، ج04 ، ص276

فيه السجع عن القرآن وبسط فيه مذهب الأشاعرة في التفرقة بين السجع والفواصل – وهو مذهبه- ، ومن الباقلاني سار الاعتقاد بأن الفاصلة غير السجع في القرآن الكريم ، واستبعدت آخر الكلمة في الآية أن تكون سجعا كما في النثر أو قافية كما في الشعر تكريما للقرآن الكريم بأن يقاس على منظوم كلام البشر، " فلأن أصله من سجع الطير ، فتشرف القرآن أن يستار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس "[1]، وعلى هذا الاختلاف في هذه القضية ، وتجنبا للإطالة فيما يحتاج إلى بحث مستقل ، نذكر فقط أن بنت الشاطئ أوردت تفصيل المسألة في كتابها "الإعجاز البياني " من صفحة 253 إلى 267 ، جالت في آراء القائلين والمعارضين في العلاقة بين الفاصلة والسجع ، إلى أن استقرت في الأخير على رأي لها مميز " ورأينا من علماء السلف من فرقوا بين الفواصل والأسجاع ، كالقاضي الباقلاني ، وعلي بن عيسى الرماني ، وان لم ير أكثر البلاغيين فرقا بين الفواصل والسجع وعندهم أن الأمر في هذه التفرقة ، ليس إلا كراهة القول بالسجع في القرآن بعد أن شاع إطلاقه على سجع الكهان "[2] إشارة إلى ما أورده السيوطي في إتقانه " وكيف والسجع مما كان نألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر "[3] .

[1] – البرهان في علوم القرآن ، محمد بن عبد الله بدر الدين الزركشي ، ج01 ، ص 54 ، تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، مصر 1957 م

[2] – الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص 267

[3] – الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ج03 ،ص 293

واللافت فعلا في رأي بنت الشاطئ قولها أن البلاغيين أكثرهم لا يرى التفرقة بين السجع والفاصلة ، وهذا في رأينا تقرير ضمني بقبول هذا الرأي – بلاغيا – إن جاز التعبير ، ورفضه – شرعا – ، وهي بهذا تعزز رأي المدرسة الأدبية في أخذ القرآن ككتاب "العربية الأكبر "بتعبير الخولي ، بل إنها لا ترفض السجع إلا من جهة " ما ابتذلته الصنعة اللفظية في الزخرف البديعي في أساليب العصور المتأخرة ، بعد أن التزمه الكهان في العصر الجاهلي .. ومن ثم نؤثر أن تمضي على تسمية مقاطع الآيات في القرآن بالفواصل وهو الذي جرى عليه أكثر المفسرين "[1].

تبدأ بنت الشاطئ في تتبع فواصل الآيات في القرآن الكريم ، لترى هل البيان القرآني يتعلق بالفاصلة فيها بمجرد رعاية للشكل ورونقه اللفظي – كما في السجع – أو أن فواصله لغاية معنوية يقتضي سر بياني تعجز دونه بلاغة البلغاء ؟ .

يقول الله تعالى { وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا **يَسْرِ** هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ **بِالْوَادِ** وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد}[2]،تذكر بنت الشاطئ بأن الحذف الواقع في الآية كحذف (ي) من "يسر" ومن " بالواد "لمشاكلة رؤوس الآيات كما يقول البلاغيون لأن القاعدة عندهم إثبات ياء العلة في الفعل المضارع المرفوع ، واثبات ياء الإسم المنقوص مجرورا أو مرفوعا إذا اقترن ب "ال" أو بالإضافة ، لكنها ترد على هذا الاعتقاد من القرآن الكريم نفسه لتنفي فكرة الحذف لأجل مشاكلة رؤوس الآيات ، فقد وردت بعض الآيات

[1] الإعجاز البياني ،بنت الشاطئ ،ص 268

[2] – سورة الفجر ، الآية 1-12

في القرآن الكريم وقع فيها الحذف في أواسط الجمل ، وفي سياق الكلام ، وليس في مقاطع الآيات {يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ }[1]،{وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً }[2]،{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ }[3]

{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }[4]،{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى }[5].

فهذه الآيات وغيرها تبطل القول بأن حذف ياء المنقوص المضاف أو المعرف بـــ"ال" ، و آخر المضارع المرفوع المعتل بالواو أو الياء لرعاية الفواصل ومشاكلة رؤوس الآيات كما في آية "والفجر ".

وهناك ملحظ آخر قالوا فيه بمراعاة الفاصلة في آية الرحمن {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}[6]، وحملوا التثنية في "جنتين" على أن المراد به الإفراد وإنما عدل القرآن إليها مراعاة للنظم ، فتجيب بنت الشاطئ بلمحة فنية رائعة أن "السياق قبلها – أي قبل "جنتين" – وبعدها على التثنية ، والواضح لنا من مراد الآية ، ولمن خاف مقام ربه من الإنس والجان ، جنتان " ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان " [7] .

---

[1]- سورة هود ، الآية 105

[2] -سورة الإسراء ، الآية 11

[3] - سورة القمر ، الآية 06

[4] - سورة النمل ، الآية 18

[5] - سورة النازعات ، الآية 16

[6] - سورة الرحمن ، الآية 46 -48

[7] - الإعجاز البياني ، بنت الشاطئ ، ص 274

المبحث الثالث : القرآن وقضايا الإنسان

1- التعريف بالكتاب :

هو كتاب في 448 صفحة ، أطلت فيه بنت الشاطئ على جملة من قضايا العصر في مختلف الزوايا ،تلك القضايا التي أصبحت تشكل هموم الأمة الإسلامية وطموحاتها بنظرة قرآنية ، وقراءة متجددة تقول في مقدمة الكتاب :" وليتقبل أصدقائي القراء وجهة نظري من الأفق القرآني الذي أطل منه على وجودنا ، من حيث أدري أن هذا القرآن هو الذي صنع تاريخ أمتي وضم شعوبها تحت لوائه الجامع ."[1] والكتاب يجمع مستخلصات بعض ما كتبته الباحثة من قبل كـــ"مقال في الإنسان : دراسة قرآنية " ، " القرآن والتفسير العصري " وأضافت إليه بعض البحوث المستجدة نقرؤها من خلال مباحث الكتاب التالية :

القسم الأول تناولت فيه " هذا الإنسان "،" قصة الإنسان "، "إنسان العصر بين الدين والعلم" أما القسم الثاني منه درست فيه مباحث "القرآن والحتمية التاريخية" ،"القرآن والتفسير العصري" "بين الدراسة القرآنية والتفسير العصري ".

ولأن الكتاب متنوع جمع بين الفكر والتفسير ، ارتأينا أن نركز البحث فيه على الجانب الذي يخدم دراستنا هذه وتجنبنا القضايا الفكرية ، بحسب ما تقتضيه منهجيتنا القائمة على البحث التطبيقي للمنهج البياني ، كما ركزنا على بعض الخصائص التي أوردناها مجملة في الفصل الثاني كوحدة الموضوع ، والإسرائيليات ، أو ما كان من القضايا التي خاضتها بنت الشاطئ في المعترك الثقافي وأصبحت من بديهيات المنهج البياني ألا وهي التفسير العلمي وإنكاره والرد عليه .

[1] – القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ،ص 08

2- التناول الموضوعي لتفسير"الإنسان في القرآن" :

تبدأ أولا بنت الشاطئ في تثبيت بعض المقدمات التي من خلالها تنطلق في تحديد النتائج فـــ "الإنسان في القرآن غير البشر"[1]،والكلمة واردة في القرآن {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ}[2]،{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَـــمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }[3]، ثم تستطرد في طرح المقدمات "والإنسان غير الناس "[4]،فلفظ الناس يأتـــي في النص القرآني نحو مائتين وأربعين مرة بدلالة واضحة على اسم الجنس لهذه السلالة الآدمية،أو هذا النوع من الكائنات في عمومه المطلق{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[5]، وفي مقدمة ثالثة تقر أن الإنسان"هو أيضا غير الإنس ، بينهما ملحظ مشترك من الأصل اللغوي لمادة " أ ن س " في دلالتها على نقيض التوحش ثم يختص كل من اللفظين في البيان القرآني بملحظ متميز وراء ذلك الملحظ المشترك "[6]،وقد ورد لفظ "الإنس " في

---

[1] – القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ، ص 15

[2] – سورة الأنبياء ، الآية 2-3

[3] – سورة إبراهيم ، الآية 10

[4] – القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ،ص 17

[5] – سورة الحجرات ، الآية 13

[6] – القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ،ص 18

القرآن في مقابل "الجن" [1] ، والإنسية هنا تعني عدم التوحش ،وهو المفهوم المصرح به في القرآن في مقابل الجن الذي يدل على الخفاء وهو قرين التوحش ، بعد هذه المقدمات بدلالاتها المختلفة عن الإنسان ، ماذا عساه أن يكون الإنسان إذن ؟.

تعرف بنت الشاطئ الإنسان ، من موقع وظيفته الأساسية في القرآن ، وتلك المواصفات التي تؤهله إلى خلافة الأرض ،ومسؤوليات التكليف وحمل الأمانة ، لأنه "وحده المختص بالعلم والبيان ، والعقل ، والتمييز مع ما يلامس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر وفتنة الغرور بما يجس من قوته وطاقته ، وما يزدهيه من الشعور بقدره ومكانته في الدرجة العليا من درجات التطور ومراتب الكائنات "[2]،ثم تنتقل للتدليل على هذا النتيجة من خلال استقراء ورود كلمة "الإنسان"في القرآن الكريم ،وردت في سورة العلق أول ما نزل من القرآن ، توزعت فيها الخصائص الإنسانية من آية خلق الإنسان من علق ، و تفرده بالعلم ، وتحذيره مما يتورط فيه من الطغيان لاستغنائه "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ

[1]- ينظر الآيات : الأنعام الآيات 112-128-130 ، الأعراف الآيات 38-179 ، الإسراء الآية 88 ، النمل الآية 17 ، فصلت الآيتين 25-29 ، الأحقاف الآية 18 ، الذاريات الآية 56 ، الجن الآيتين 5-6 وكلها مكية ، الرحمن الآيات 74،56،39،33 وهي مدنية

[2]- – القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ، ص 20

يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَه سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}[1] .

وآيات خلق الإنسان كما تقول بنت الشاطئ،جاءت كلها في سياق العظة والاعتبار لافتة إلى تذكير الإنسان بهوانه وضعفه ، فتلفته إلى خلقه من تراب أو من طين أو من نطفة أو من علقة [2] ، كما أن الإنسان مغرور إلى حد الكفر بخالقه{خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ }[3]، لذا جاء تذكيره أصل خلقه من علقة {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ}[4] ،و الإنسان ينسى ربه في نشوة النعمة والقوة ، فإذا ما مسه الضر فإنه يعود لله في تضرع وابتهال وذل ومسكنة {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[5]، والإنسان في القرآن يختص بالعلم{عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }[6] واختص بالبيان {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَان}[7] ، ثم هو ممن يحمل الأمانة ويتحمل تبعات التكليف ومسؤولية الثواب والعقاب{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى}[8] ،وقصة الإنسان يجملها القرآن في قوله تعالى{ لَقَدْ خَلَقْنَا

---

[1]- سورة العلق ، الآية 1-10

[2]- ينظر : سورة الطارق الآية 5-8 ، سورة عبس الآية 17-22

[3]- سورة النحل ، الآية 04

[4]- سورة الانفطار ، الآية 6-8

[5]- سورة يونس ، الآية 12

[6] - العلق ، الآية 05

[7]- سورة الرحمن ، الآية 1- 4

[8] - سورة النجم ، الآية 39- 40

الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}[1] .

بهذا التناول البياني لموضوع الإنسان في القرآن الكريم ، نستطيع القول أن بنت الشاطئ شكلت بناء متكامل للنظرية القرآنية للإنسان في مقابل كل الاتجاهات والأيديولوجيات الغربية الأخرى التي تناولت الإنسان من وجودية ، وبنيوية ، وماركسية ، وغيرها من الطروحات التي سادت الفكر الإنساني على مدى عقود الزمن .

3- التناول الموضوعي لتفسير" القمر في القرآن" :

في منهج بنت الشاطئ القائم على التناول الموضوعي ، والرد على المنهج العلمي و إنكاره تقدم لنا الباحثة نموذجا من موضوعاتها الموسوم بـــ " القمر في القرآن" ، عالجت من خلال النظرة التاريخية إدراك الإنسان للقمر ، ودلالة " القمر" كمفهوم في المخيّل الاجتماعي للشعوب ،والنظرة القرآنية التي جاءت فيما بعد وكيف تعاملت مع المفهوم ، وحددت الوظيفة الأساسي التي أبدعها القرآن لظاهرة القمر ، ثم بحثت في المفهوم العصري الذي ظهر على يد بعض المفسرين حاولوا فيه تحميل بعض الحقائق العلمية والواقعية لظاهرة الصعود إلى القمر،وتفسيرها بنصوص من القرآن التي تحدثت عن القمر في سياقات مختلفة ، وأحيانا مبتورة ، والبحث الذي تناولته بنت الشاطئ ، جمعت فيه بين التناول الموضوعي ونقد التفسير العلمي ، وهما من كبريات الأسس التي بني عليها المنهج البياني .

[1] - سورة التين ، الآية 04-08

بنبرة أدبية بيانية رائعة ، سافرت بنت الشاطئ مع الإنسان سفره مع ظاهرة القمر ، تلك الظاهرة التي رافقت تفكير الإنسان ووجدانه وحملت معه همومه وآماله ،لقد" تطلع الإنسان البدائي إلى أفقه العالي مبهورا بسناء نوره البهي ، يهديه في متاهة الظلام من قبل أن يعرف ضوء القمر "[1] فمعرفته بالقمر أصيلة قبل أن يتناولها علم الفلك الحديث بآلاف السنين ، وقصته معه تنوعت بين القداسة الدينية و القداسة الوجدانية الشاعرية ، فإذا كان البدائيون جعلوا من القمر آلهة تعبد "فقد رأى فيه أسلاف لنا رمزا لجلال الألوهية وفيض نورها وكرم عطائها ، فعبدوا "آلهة القمر " في وديان النيل والرافدين والسند قبل عصر الأديان الكبرى كما عبدت الشمس والكواكب لما بهر عابديها من ضوئها الساطع"[2]،ورأى الإسلام في ظاهرة القمر ، أن ينسخ منها مفهوم العبادة ويبقي على القمر ، وغيره من ظواهر الطبيعة كالشمس والكواكب تعظيما و إجلالا لعطائهم النوراني وحساب الزمن ومواقيت المواسم{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[3]، {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }[4] .

كما ارتبطت مواسم العرب الدينية قبل الإسلام بدورة القمر ، ومواقيت حجهم والأشهر الحرم التي لا يحل فيها القتال . أضفى القرآن على القمر جلالا وحرمة حين جعل منه مقياسا لمواقيت الصيام { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ

[1]- القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ،ص 223

[2]- المصدر نفسه،ص 225

[3]- سورة يونس ، الآية 05

[4]- سورة الأنعام ، الآية 96-97

فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ }[1] ، والحج {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ، والأشهر الحرم الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ }[2] ، والأشهر الحرم {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[3] ،وبهذا الالتفات من القرآن الكريم كان للقمر وظيفة أساسية تؤطر حياة الناس وتنظم معاشهم ، وتستطرد بنت الشاطئ في تتبع مسيرة القمر وأسراره إلى المستوى الذي عجز فيه البشر في كشف سر القمر " وبقي من سر القمر ، ما كان يغيب عن البشرية كلها في عصر نزول القرآن "[4] ، ذلك أنهم سألوا الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم عن كنه الأهلة ما بين بزوغ وبدر وأفول ، فلم ير القرآن لهم أن يتعلقوا بما لا سبيل لهم إلى إدراكه وعلمه ، ذلك أنه لم ينضج العقل البشري حينئذ بالمستوى الذي يؤهله للعلم التجريبي ،" فعلم الفلك لم يعرف في عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم منه إلا السحر البابلي مختلطا بالتأملات الميتافيزيقية لكهنة الفراعنة وفلاسفة اليونان والإشراق الصوفي لروحاني الصين والهند "[5] ، فكان رد القرآن واضحا على من سألوا عن الأهلة ، صارفا عنهم التعلق بما لا سبيل لهم لإدراكه ،{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـــكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[6] ، وتوضح بنت الشاطئ حقيقة علمية من خلال

---

[1]- سورة البقرة ، الآية 185

[2]- سورة البقرة ، الآية 197

[3]- سورة البقرة ، الآية 194

[4]- القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ، ص 232

[5]- المصدر نفسه، ص 233

[6]- سورة البقرة ، الآية 189

هذه الآية وهي أن مسألة الظن التي عكف عليها الناس قديما في تفسير كثير من الأمور أدخلت الناس في كنف الخرافات والمسائل التافهة ، التي ينأى عنها العقل " ونتعلم في دراسة مناهج المعرفة أن الإنسان لم يدخل عصر العلم إلا منذ أن تخلى عقله عن غروره القديم ، واتجه إلى دراسة خواص العناصر ، وقوانين الظواهر الطبيعية بدلا من النظر المبدد فيما لا يدري من كنهها وأسرارها "[1] .

وهي نفس القاعدة التي أقرها القرآن الكريم ، في قوله تعالى{وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً }[2] .

وصور القرآن قيمة القمر العلمية من خلال وظيفته في حساب الأيام والشهور والسنين فإنه يأخذ القمر كعطاء وجداني للإنسان ، ينتقل مع أحلامه كبشارة للخير وتعبير صدق الأمل "من قديم كانت صحبة الإنسان للقمر ترهف من خياله ، وتحلق برؤاه في أفق رحب ... حيث يأخذ القمر وكذلك الشمس والكواكب معاني رمزية ودلالات ايحائية "[3]،كتعبير القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام حين قال لأبيه {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ }[4]، فتتحقق الرؤيا ، وإذا الذي كان مناما يغدو حقيقة ، ويصدق التأويل ، وإذا الكواكب والشمس والقمر بدلالاتها اللغوية تخرج إلى دلالات مجازية ، رمزية ، وإذا به تعطي للغة ثراء وفنية وبلاغة .

---

[1]- القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ، ص 233

[2]- سورة النجم ، الآية 28

[3]- - القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ، ص 234

[4]- سورة يوسف ، الآية 04

4- نقد التفسير العصري للقمر في القرآن :

فماذا بعد رحلة الإنسان للقمر و ماذا عساه أن يقول القائلون في القمر بعدها ؟.

إنه السؤال الذي تدخل به بنت الشاطئ إلى تناول ما قيل في التفسير العصري للقمر" بين من وقف بمعزل عن الرحلة العجيبة و لم يتكلن ، وبين من خاض في الحديث عن القرآن والقمر بغير علم ولا هدى وكتاب منير "[1] ، فهناك تفسير عصري أخذ مادة القمر وعلم الجيولوجيا القمرية من آية " يس" {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ }[2]، والآية كما ترى بنت الشاطئ مبتورة من سياقها في ثبات السنن الكونية واطراد نظامها والرجوع إلى ما يسبق الآية ،{وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }[3] يتضح الفرق الشاسع بين ما ذهب إليه التفسير العصري وسياق الآيات .

ومن التأويلات العصرية ، أخذت سفن القمر وتكنولوجيا الفضاء من آية الانشقاق {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ }[4] والآية " مبتورة من سياقها في وعيد الكفار بعذاب يوم السعير {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُون}[5] ، ومن أغرب التأويلات يوم وصل رواد الفضاء منتصرين إلى سطح القمر ، فقد ظهر التفسير العصري يجر النص القرآني جرا وحملت الآية الكريمة{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا

---

[1]- - القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ص 244

[2]- سورة يس ، الآية 39

[3]- سورة يس ، الآيات 37-38

[4]- سورة الانشقاق ، الآية 19

[5]- سورة الانشقاق ، الآية 20- 21

تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ }[1]، على أنها بشرت بهذا الإنجاز منذ أربعة عشر قرنا ، مع أن الآية مبتورة السياق في إحاطة الله بخلقه من إنس وجن ، " فليحاول هؤلاء أو أولئك أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض ، فستردهم حمم من العذاب بيقين الخيبة "[2]{ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[3]، وفعل الأمر في الآية " فانفذوا " على سبيل التعجيز لمن يحاول الخروج من سلطان الله المحيط بخلقه في السماوات والأرض ، والمحاولة إن كانت مقضي عليها بالفشل وعدم الإنجاز بصريح النص " فلا تنظران " .

وتضيف بنت الشاطئ بيانا رائعا لوظيفة القمر وظاهريته في القرآن الكريم من خلال تتبع السياق في الآيات التي وردت فيها كلمتي الشمس والقمر،" ونرى أنه مع دخول الشمس والقمر في عموم ما سخر الله للناس ما في السماوات والأرض جميعا ، يخص القرآن الكريم الشمس والقمر بالذكر في سبع مرات في آيات هذا التسخير "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" و" يعلمون " "[4]

فأي اقتحام لمجاهل الكون تحقيق لتكليف خلافته فيما سخر له الله من السماوات والأرض والآيات {اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

[1]- سورة الرحمن ، الآية 33

[2]- - القرآن وقضايا الإنسان ، بنت الشاطئ ص 245

[3]- سورة الرحمن ، الآية 36

[4] - القرآن وقضايا الإنسان ،بنت الشاطئ ،ص 247

دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}[1]، { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون}[2].

ثم تختم بنت الشاطئ في الرد على التفسير العصري بجملة من التساؤلات تلك التي ترتبط بالقمر في تغيره و فقدانه وظيفته خدمة للإنسان ، هل عطل اكتشاف كثافة مادة القمر آيته القرآنية سراجا منيرا ، هل اختل دوره بالوصول إليه والتجول على سطحه بين الصخور وفوهات بركانه ؟

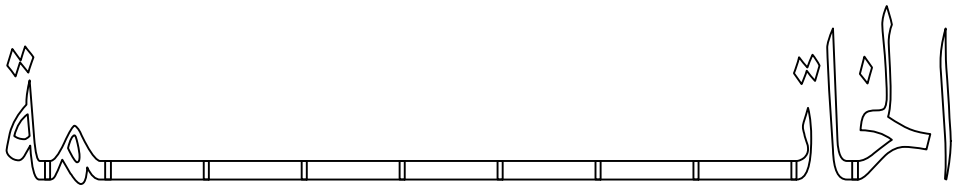
لا يزال القمر آية الله في هذا الكون سراجا منيرا ، ويبقى أبدا ملاذا للعاشقين ومؤنسا للتائهين و الحيارى ، ويبقى نظام دورته يضبط الزمن بمواقيت لا تختل ، ولازلنا معه نسمع ابن زيدون في ربوع الأندلس يطرب بالقمر فنطرب لطربه على بعد المسافة والزمن ، نحيي معه شكواه

يا أخا البدر سناء وسنا حفظ الله زمانا أطلعـــــــك

إن يطل بعدك ليلي فلكم بت أشكو قصر الليل معـــــك

[1]- سورة إبراهيم ، الآية 32 - 33

[2]- سورة الجاثية ، الآية 13


الخاتمة

الخـــــــاتمـــــــــــــــة

وخلاصة هذا البحث لموضوع المنهج البياني في التفسير – بنت الشاطئ نموذجا – نعرضها مجملة في النقاط التالية:

1- البيان حقل معرفي اتسع في بداياته ليشمل الشعر والخطابة وكل فنون القول التي كانت مدار الثقافة العربية الأصيلة ، وبدأ دوره يتقلص عندما أخضع لعملية الضبط والتقعيد والتي أفرزتها المجادلات الفكرية والمذهبية ، وظهرت المعتزلة كأهم مدرسة شغلت بالبيان لتوظفه في علم الكلام وكان الإعجاز من أهم القضايا الجدلية التي لعب البيان فيها دور الآلية التي تؤطر الخطاب الكلامي

2- أما التفسير ، شأنه شأن كل العلوم التي أخذت تبحث عن أطر البيان لتأخذ حجمها الطبيعي فبدأ التفسير البياني ، مع حمى الصراعات الكلامية البيانية ، وشكل النص القرآني مرجعا هاما في الجدل وظهر ما بات يعرف بالتأويل وأخذ من المجاز ما يعزز موقعه .

3- هذا التراجع في وظيفة البيان انعكس على التفسير وانتقل كآلية للدفاع والهجوم المذهبي والأيديولوجي ، حتى تفسير الزمخشري الذي عد في مرحلته أكمل ما وصلنا من التفسير البياني ، نازعته الحمية المذهبية الاعتزالية ، حتى كاد أن ينسى البيان ، ليذكر الاعتزال.

4- في حمى التفاسير التي صيغت بقوالب التمذهب ، ظهرت الدعوة إلى التجديد في التفسير ، ومعه الدعوة إلى تجديد البلاغة التي تعتبر لغة البيان ، وكان أمين الخولي أول من قال بالتجديد في هذا الإطار ، ليطلق مشروعا تضمن آليات وخصائص ما أصبح يعرف بالمنهج البياني في التفسير والذي اكتمل على يد بنت الشاطئ وأخذ شكلين

- الشكل الأول : على المستوى النظري حدد من خلاله أمين الخولي نظريات حديثة في التفسير على قاعدة أن القرآن يجب أن يدرس كباقي النصوص الأدبية ، فالبيان العربي مدين بأصالته وعمقه للقرآن الكريم ويكفي أن تتفق الدراسات القرآنية على المناهج البلاغية ، وتدور حول فكرة الإعجاز القرآني في مناحي الأدب والنقد ، والنص القرآني في ذلك أرقي نص أدبي وبلاغي في لغة العرب ، فلم لا يكون الأساس فيما أبتدع العرب من علوم البلاغة ، مع الحفاظ على خصوصيته الإلهية. فكانت محاولات الخولي العمل أولا على تجديد البلاغة وخلاصها من الحدود المنطقية وإعادتها إلى الذوق ، وفن القول ، وربطها بالعلوم الحديثة وبخاصة علم النفس ، لأن لها علاقة وطيدة بالنفس الإنسانية ، والجمال ، وغايته من تجديد البلاغة هو مقدمة لتجديد التفسير ، بل اعتقد الخولي أن ما يقوم به من محاولات التجديد في الأدب والنحو وغيرها من علوم العربية إنما لأجل خدمة النص القرآني ،خصوصا وأنه عاش مرحلة النهضة العربية والتي تتطلب العودة إلى الأصول والتراث ، فأطلق مقولته المشهورة كشعار " أول التجديد قتل القديم فهما ".

الشكل الثاني : على المستوى التطبيقي وهو ما عكفت عليه بنت الشاطئ طيلة حياتها فأخضعت النص القرآني إلى ضوابط المنهج البياني الذي أسسه الخولي وسارت عليه، وكان أبرز هذه الضوابط التناول الموضوعي للنص القرآني ,البحث الدلالي للكلمة القرآنية، وتتبع الفهم من خلال السياق تجريد التفسير من بعض الآراء الإسرائيلية ، والتعامل مع أسباب النزول بما يحفظ للنص خصوصياته وتقريب الفهم ، لا من خلال إسقاطه على المناسبة .

5- ومن خلال هذه المحاولة الجديدة في الطرح والتناول تكون بنت الشاطئ قد فتحت المجال لما يعرف ب"النظرية القرآنية" وهو الموقف الذي يتبناه القرآن تجاه القضايا الفكرية والإنسانية في مقابل النظريات الغربية الحديثة ، ففتحت بذلك آفاق النص القرآني بأسلوب أدبي رائع متجاوزة في ذلك تعقيدات الطرح الأيديولوجي المذهبي ، والطرح الخرافي الذي نما مع كثير من التفاسير النقلية التقليدية ، وبأسلوب حواري عقلي لم تلغ القديم بل ناقشته وعارضته من النص القرآني نفسه بآلية السياق وما يتطلبه العقل الذي جاء القرآن ليخاطبه .

6- وبهذه الضوابط في المنهج البياني ، تقف بنت الشاطئ موقفا حادا من بعض التفسيرات العصرية التي حاولت إخضاع بعض النظريات العلمية للقرآن محاولة إيجاد ما يبرر هذه النظريات وترى أن مثل هذه التفسيرات لم تكن من أهداف القرآن الكريم ولا مما جاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إليه ، وإنما هي شطط و أقاويل ..

في ختامي لعرض أهم النتائج التي جاء هذا البحث يعالجنا ، نحب أن نشير إلى نقطة هامة هي أن مشروع بنت الشاطئ في التفسير البياني يبدو حديثا ويحتاج إلى تضافر جهود الباحثين والدارسين أن يكملوه ، على الرغم من ظهور بعض المحاولات في التفسير الموضوعي إلا أن الجانب

الأدبي في تفسير النص القرآني لا يزال تقليديا ويفتقد إلى الأعمال الجادة التي تأخذ بالنظريات الحديثة ، ليكون المفسر لغويا ، وبلاغيا ، ونفسانيا ، وفيلسوف أفكار في آن واحد ، والنص القرآني الذي يحياه المفسر هو جزء من هذا الوجود وهو يتكلم بطرق مختلفة ، ومهمة المفسر أن يكتشف هذه الطرق وأن يكشف عنها ، أليس في تعبيرنا أن صورة لوحة فنية رائعة نقول عنها تنطق بالحياة ، أليس القرآن أعظم لوحة في الوجود ، فكيف نفهم نطقه ، وكيف نؤوله .

قائمة المصـــــادر والمراجـــــع

القرآن الكريم برواية حفص

(أ)

1- الأشباه والنظائر في القرآن ، مقاتل بن سليمان ، دراسة وتحقيق عبد الله محمود شحاتة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975 م

2- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت911هـــ) دار المعرفة ، مصر، دت

3- أثر القرآن في تطور النقد العربي ، زغلول سلام ،دط، دار المعارف ، مصر، دت

4- الإعجاز البياني للقرآن ، عائشة عبد الرحمان – بنت الشاطئ – ط03 ، دار المعارف مصر

5- الاتجاه العقلي في التفسير – دراسة في قضية المجاز – نصر حامد أبو زيد ، ط05 المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2003 م

6- أمين الخولي سلسلة أعلام العرب ، كامل سعفان ،دت ، مطابع الهيئة العامة للكتاب مصر 1982 م

7- الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، عز الدين إسماعيل ،ط01 ، دار الفكر العربي ، القاهرة مصر1955 م

(ب)

8- بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي(ت383 هـــ) ، تحقيق محمد أحمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دط ، دار المعارف القاهرة ، 1967 م

9- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت255 هـــ) ، تحقيق فوزي عطوي ط01 ، دار صعب ، بيروت ، لبنان ،1968م

10- البحر المحيط ، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي(ت754 هـــ) دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، دت

11- البرهان في علوم القرآن ، محمد بن عبد الله بدر الدين الزركشي(ت 794 هـــ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، 1957

12- البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ط 11 ، دار المعارف ، مصر ، دت

13- بنية العقل العربي ، محمد عابد الجابري ، ط03 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، 1990 م

14- بنت الشاطئ من قريب ، حسن عبد الحميد جبرا المالكي ، دط، دار الكتاب الحديث القاهرة ، مصر ، 2001 م

(ت)

15- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (651هـ)، تحقيق أبو القاسم عبد العظيم ، ط01 ، المطبعة السلفية بنارس ، الهند ، 1987 م

16- التلخيص في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت739هـ)
ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي ، دط ، دار الفكر العربي ، بيروت ، دت .

17- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت460هـ)
تحقيق أحمد حبيب القصير ، دط ، المطبعة العلمية ، النجف ، العراق ، 1957 م

18- تفسير القرآن الكريم ، أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)
ط01 ، دار الجيل بيروت لبنان 1981م .

19- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ط01 دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1999م

20- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، دت .

21- التفيسر البياني للقرآن ، عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ – ج01-ج02
ط 08 دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 2004 م

22- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، مستشرق ألماني (ت1956 م)

ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ،1961 م

23- تاريخ التراث العربي ، محمد فؤاد سزكين ، دط ، الهيئة المصرية للكتاب

القاهرة ، 1977 م

24- التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا ، عاصي حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ،لبنان ، دت

25- التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، ط04 ، أم القرى للطباعة والنشر

القاهرة ،1988 م

26- التراث النقدي والبلاغي حتى نهاية القرن السادس الهجري ، وليد قصاب ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدوحة ،قطر ،1985 م

27- التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، دار المعارف ، القاهرة ، 1953 م

28- التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، ط05 ، دار الشروق ، القاهرة

مصر ، 1992 م

29- تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب ،ط05 ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان 1982 م

(ج)

30- جمال الدين الأفغاني المفترى عليه ، محسن عبد الحميد ، ط01 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

لبنان ، 1985 م

(ح)

31- الحيوان ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ(ت255 هـــ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1957 م

(خ)

32- خصام ونقد ، طه حسين ، ط12 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1985 م

(د)

33- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت 471هـــ) تصحيح محمد عبده و محمد محمود التركزي الشنقيطي ، مطبعة المنار ، القاهرة ، دت

34- دائرة المعارف الإسلامية ، أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ، ويشرف على تحريرها هوتسما ، ليفي بروفنسان .. ، النسخة العربية إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد ، أحمد الشنتاوي ، عبد الحميد يونس ، دار الشعب ، القاهرة ، دت

35- دراسات في حضارة الإسلام ، هاملتون جيب ، ترجمة إحسان عباس ومحمد نجم ومحمود زايد ، مؤسسة فرانكلين ، بيروت ، لبنان ، 1964 م

(ر)

36- الرؤيا المقيدة ، شكري عياد ، ط01 ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1987

37- رائدات الأدب النسوي في مصر ، أميرة خواسك ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر 1999

(ش)

38- الشخصية الإسلامية ، عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ – ط03 ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ، 1980 م

(ص)

39- الصناعتين ، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله (ت395 هـــ) ، تحقيق البجادي وأبو الفضل محمد ،ط02 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، دت

(ط)

40- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة العلوي (ت749هـــ) ، الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1983 م .

(ظ)

41- الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي (ت1973 م) ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، ط04 دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1984 م

(ع)

42- العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين وآخرون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر 1953 م .

43- على الجسر ، بين الحياة والموت ، عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ- الهيئة العامة للكتاب مصر 1999 م

44- علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ، ط03 ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت لبنان ، 1995 م

(ف)

45- الفروق في اللغة ، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري(ت395هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان 1980

46- فن القول ، أمين الخولي(ت 1966 م)، دار الفكر العربي ، القاهرة ،مصر 1947 م

47- فنون بلاغية ، أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1975 م

48- الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي ، دار الكتاب العربي القاهرة ، دت

(ق)

49- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث ، ط06 ، مؤسسة الرسالة 1998 م

50- القرآن وقضايا الإنسان ، عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ – ط05 ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ، 1982 م

(ك)

51- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت538هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، دت

(ل)

52- لسان العرب ، جمال الدين ، محمد ابن مكرم ابن منظور الأنصاري(ت711هـ) ، ج01 دار صادر ، بيروت ، لبنان ،دت

53- لغتنا والحياة ، عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ – ط01 ، دار المعارف

القاهرة 1969 م

54- اللغة والتفسير والتواصل ، مصطفى ناصف ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1995 م

(م)

55- الموطأ ، الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس (ت 795 هـ) ، ط02

منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ،1981م

56- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي(ت210هـ) ، ط01 ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، نشر الخانجي ، 1954 م

57- معاني القرآن ، أبو زكريا ، يحي بن زياد الفراء (ت204هـ)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد النجار ، ط01 ، دار الكتب المصرية ، 1955 م

58- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي(ت626هـ) ، المطابع اليمنية نشر البابي الحلبي وأخويه ، مصر ، دت

59- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير (ت637هـ) ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار النشر المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، 1995 م .

60- المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصبهاني(ت502هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة البابي ، القاهرة ، 1961 م

61- معجم البلدان ، ياقوت عبد الله الحموي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان .

62- المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، جلال الدين السيوطي(ت911هـ) ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،دت

63- المقدمة ، عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ)، ط01 ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان 1997 م

64- الموسوعة العربية العالمية ، ط02 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض المملكة العربية السعودية ،1999 م.

65- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، أمين الخولي ، ط01 ، دار المعرفة القاهرة ، 1961م

66- المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية ، وليم راي ، ترجمة ، يوئيل يوسف عزيز دار المأمون ، بغداد ، العراق ، 1987 م

67- المدرسة القرآنية – السنن التاريخية في القرآن – محمد باقر الصدر ، دار التعارف ، بيروت لبنان ، 1981 م

68- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، مصطفى الصاوي الجويني ن ط03 دار المعارف ، مصر

69- مناهج التفسير ، مصطفى الصاوي الجويني ، منشأة التعارف ، الإسكندرية ، مصر

70- مناهج بلاغية ، أحمد مطلوب ، ط01 وكالة المطبوعات الجامعية الكويت ، 1973 م

71- مصطلحات بلاغية ، أحمد مطلوب ،ط01 ، مكتبة العاني ، بغداد 1972 م .

(ن)

72- نظرية في النقد الأدبي ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، 1982 م

73- نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ، عز الدين إسماعيل ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان 1975 م .

(و)

74- وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ) تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1968 م .

الدوريـــات

1- الكلمة القرآنية ، فضل محسن عباس ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، ع04 ديسمبر 1985 م ، تصدر عن جامعة الكويت ، نصف سنوية محكّمة، الكويت

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية **الصفحة**

سورة البقرة

64 {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ.... }..... 12

257 {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..}.....30

158 إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ...}.....92

75 أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَك...}.....94

185 شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاس...}..... 148

197 الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَات...}.....148

194 الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ...}..... 148

189 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ...}.....148

سورة آل عمران

138 هَـــذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ...}.....22، 77

78 وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ....}.....95

30 يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً....}..... 135

سورة النساء

10 إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً...}.....37

سورة المائدة

64 {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ...}..... 44

سورة الأنعام

01 {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ...}..... 06

122 {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...}..... 32

25 {حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ} 135

96 {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً...}.....147

سورة الأعراف

179 {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا...}.. 78

سورة الأنفال

22 {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ... }..... 78

سورة التوبة

107 {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ...}..... 91

42 {لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَّتَّبَعُوكَ... }..... 135

سورة يونس

10 {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً...}.....145

05 {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ...} 147

سورة هود

06 { وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا...} 84

95 { كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ...} 136

105 { يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيد...} 140

سورة يوسف

95 { قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ...} 119

08 { إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ...} 119

30 { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ...} 120

43 { يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ...} 133

05 { قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً...} 134

100 {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً...} 134

43 {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ...}... 135

04 {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ...} 149

سورة إبراهيم

16 { مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ...} 34

03 {الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ...}... 136

10 { قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...}.....143

32 {اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...}.....152

سورة النحل

44 {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...}..... 22

68 {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً...}..... 36

69 { ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً...}.....36

سورة الإسراء

60 { وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ...}.....134

83 {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ...}..... 135

11 { وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً...}.....140

سورة الكهف

110 { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِد...}..... 88

سورة طه

59 {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى...}..... 116

سورة الأنبياء

35 { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ...}.. 30

05 {بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ...}..... 133

109 {فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ...}..... 136

02 {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ...}..... 143

سورة النور

39 {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء...}..... 83

27 { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ...}..... 103

سورة النمل

18 {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْل...}..... 36

16 {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْر...}..... 78

18 {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ...}..... 141

سورة الأحزاب

43 {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور...}...30

سورة يس

39 {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ...}..... 150

37 {وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ...}..... 150

سورة الصافات

64 { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ...}..... 33

104 { وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ...}..... 133

سورة الزمـــر

30 { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ...}.....30

56 {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ...}..... 43

سورة الزخرف

62 {وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ...}.....22

38 {حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ...}.. 135

سورة الجـــاثية

13 {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ...}..... 152

سورة الفتح

27 {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ...}..... 134

سورة الحجرات

13 {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ...}...143

سورة النجـــم

39 {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى...}..... 145

28 {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنّ... }.....149

سورة القمر

01 { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ}..... 137

06 {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُر}.....141

سورة الرحمـــن

4-1 {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}.....78،23

37 {فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ}.....137

48-46 {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَان}..... 141

33 { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَات..}.. 151

36 { يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ... }.....151

سورة الحشر

21 {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ... } 127

سورة القلم

7-1 {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون...}.....131

سورة الحاقــة

13 {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ}..... 137

سورة المعارج

7-6 {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً}..... 136

سورة القيامة

19 {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}..... 22

18 {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}.....77

سورة النّبــأ

19-18 {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً}..... 137

سورة النازعات

46 {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}..... 116

16 {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}..... 141

سورة الانفطار

2-1 {إِذَا السَّمَاء انفَطَرَت وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَت}..... 137

8-6 { يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ...}.....145

سورة الانشقاق

19 { لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ}..... 150

21-20 {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ}.....150

سورة الفجر

21 { كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً}..... 137

23 {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}.....137

12-1 {وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ...}.....140

سورة الضحى

2-1 {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}..... 104

09 { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}..... 105

سورة التين

8-4 {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين...}.....146

سورة العلق

05 { عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}..... 145

1-10اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ} 145

سورة الزلزلة

01 {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}..... 137

04 { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}.....138

سورة العاديات

04 { فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً}..... 32

سورة التكاثر

2 { حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}.....84

2-1 { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}.....86

4-3 {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}..... 86

فهـــــرس الموضوعـــــــــات

الموضـــــــــــــوع **الصفحـــة**

الإهـــــــــــداء

شكر وتقـــــدير

المقدمـــــــــــة

المدخـــــــل : التفســـــير وفكرة التجديـــــد 12

1- خصائص النص القرآني.....14

2- أهمية التفسير 18

3- التفسير وفكرة التجديد 20

.....

أ- الاتجاه الأول : مدرسة التفسير الاجتماعي (محمد عبده) 21

ب- الاتجاه الثاني : مدرسة التفسير الأدبي (أمين الخولي).....24

الفصل الأول : البيـــــــــــــان مـــن التكـــوين إلـــى التأصـــيل 29

المبحث الأول : ما البيان ؟ 30

1- القيمة البيانية.....30

2- مفهوم البيان 30

أ- البيان لغة.....32

ب- البيان اصطلاحا 35

المبحث الثاني : التفسير البياني من التكوين إلى التأصيل.....39
1- مرحلة التكوين.....40
2- مرحلة التأصيل.....52

المبحث الثالث : التجديد في البلاغة والتفسير.....57
المبحث الرابع : البلاغة وإشكالية التعقيد.....65
1- نشأة البلاغة في بيئة المتكلمين.....66
2- تأثير الفلسفة في البلاغة العربية.....67
3- البلاغة وقضية الإعجاز القرآني.....69
4- علماء البلاغة من غير العرب.....70
5- تراجع الأدب العربي.....72

الفصل الثاني : المنهج البياني في التفسير ، مفهومه وخصائصه عند بنت الشاطئ 73

المبحث الأول : ترجمة بنت الشاطئ.....**75**
1- المولد والنشأة.....75
2- لقاء الخولي وأساتذة الجيل.....77
3- دراستها الأدبية والإسلامية.....80
أ- الأدب.....80
ب- التحقيق.....81
ج- الدراسات الإسلامية.....82
د- الترجمـــة.....83
هـــ - قضايا ساخنة.....88
4- جوائـــزها.....86
5- وفـــاتهـــا.....87
المبحث الثاني : البيان عند بنت الشاطئ وخصائص المنهج البياني.....**88**

1- المفهـــــــوم 88
2- خصائص منهجها البياني 90
أ- البحث الدلالي للكلمة القرآنية 90
ب- قضية الترادف في المنهج البياني 99
ج- الإحاطة بظروف النص القرآني 101
د- التناول الموضوعي لتفسير القرآن 106
المبحث الثالث : اللمحة النفسية في المعنى القرآني 112

الفصل الثالث : نماذج تطبيقية في المنهج البياني عند بنت الشاطئ 120

المبحث الأول : نماذج تطبيقية من خلال " التفسير البياني " 122
1- التعريف بالكتاب 122
2- رؤية في منهج الكتاب 123
3- الحوار مع الأقدمين في " التفسير البياني " 123
4- أسباب النزول في " التفسير البياني " 125
5- البحث الدلالي للكلمة القرآنية في "التفسير البياني " 126
6- التأويلات في " التفسير البياني " 128
7- الصنعة الإعرابية في "التفسير البياني " 131
8- الإسرائيليات في "التفسير البياني " 132
المبحث الثاني : نماذج تطبيقية من خلال "الإعجاز البياني " 135
1- التعريف بالكتاب 135
2- مدخل إلى الإعجاز البياني 136
3- مفهوم الإعجاز عند بنت الشاطئ 138
4- السر البياني في القرآن 140
أ- فواتح السور وسر الحرف 140
ب- دلالات الألفاظ وسر الكلمة 143

ج- الأساليب وسر التعبير 147

المبحث الثالث : نماذج تطبيقية من خلال " القرآن وقضايا الإنسان " 153
1- التعريف بالكتاب 153
2- التناول الموضوعي لتفسير " الإنسان في القرآن " 154
3- التناول الموضوعي لتفسير " القمر في القرآن " 157
4- نقد التفسير العصري للقمر في القرآن 161

الخاتـــــــــــــــمة 164

قائمة المصادر والمراجع 168

فهرس الآيات القرآنية 178

فهرس الموضوعـــــات **187**